ذكّرتني قراءةُ هذا الوصف
المفعم بالمرح والحيوية لليو ميسّي
بمدى روعة كل دقيقة
قضيتها إلى جانبه...
Pep

جوردي بونتي

تمارين على الأسلوب
MESSI

الترجمة عن الكاتلانية محمد بيطاري

أطلس

مكتبة
t.me/soramnqraa

سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

Messi

تمارين على الأسلوب

جوردي بونتي

مكتبة
t.me/soramnqraa

Messi

تمارين على الأسلوب

ترجمها عن الكاتالانيّة:

محمد بيطاري

Messi

تمارين على الأسلوب

تأليف: جوردي بونتي (Jordi Puntí)

ترجمها عن الكاتالانيّة: محمد بيطاري

Tot *Messi, Exercicis d'estil.* © 2018 by Jordi Puntí
The Arabic edition is published by arrangement with
Jordi Puntí C/O MB Agencia Literaria S.L.

الغلاف: مناف عزّام

الإخراج الفني: نادر عيسى

الطبعة الأولى: 2022

ISBN: 978-9933-9358-2-5

مكتبة
t.me/soramnqraa

الناشران:

أطلس للنشر والتوزيع
دمشق - الجمهورية العربية السورية
هاتف: 4421010 11 963+
خليوي: 312023 933 963+
بريد إلكتروني:
atlasbooks@gmail.com

Serveis Editorials Èter S.L,
Carrer de Sant Gil, 16, 3-1.
08001 Barcelona, Espanya.
Telèfon: (0034600113218),
Correu Electrònic:
serveiseditorialseter@gmail.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن آراء الناشرين.

This book was translated with the help of a grant from the Institut Ramon Llull.

تمت ترجمة هذا الكتاب بدعم من معهد رامون لول.

فهرس

ميسي ابن أُسرتي – تقديم: همام كدر 9

شكر وتقدير 13

مقدّمة 15

مقدمة الطبعة العربية 23

المرّة الأولى 27

طفل 31

منديل ورقي 37

الصفات الصفات 41

كريستيانو رونالدو 45

تضحية 51

قبل وبعد 57

ضربات الجزاء 63

القرن الواحد والعشرون 69

دييغو آرماندو 79

الديناميكا الهوائية 83
مارادونا 89
أسلوب المشي.................................. 93
رونالدينيو 97
الإصابات 103
غير المُتخيّل......................................109
ابتسامات ودموع 117
الخيال 123
الوشوم...127
أنا أتذكّر...133
كأس العالم 2018، أو ماذا بعد روسيا؟........................139
الأبديّ..149

ميسي ابن أُسرتي

مكتبة
t.me/soramnqraa

تقديم: همام كدر

أقف دائماً بوجه العبارات الجاهزة في كرة القدم، مثل أن نقول: «هدف عالمي»، أو «فخامة الاسم تكفي»، أو «لاعب من كوكب آخر». هذه الجمل التي قيلت وصفاً لميسي آلاف المرات، تستفزني كثيراً؛ فأحاول تفكيكها، واستبدال كلمات أكثر دقة بكلماتها.

لماذا نقول: إن ميسي من كوكب آخر؟

بالنسبة إلي، هو يفعل على هذه الأرض، ما يفوق شوقنا لمعرفة طبيعة المادة الموجودة على القمر، وما إذا كان هناك شكل من أشكال الحياة في كواكب أخرى...

إنه باختصار: قد جعل خيال مراهقتنا، الذي كنا نحلم به أثناء نومنا، نسدد على أَسرّتنا الكرات، وجعلنا نقوم بالحركات البهلوانية اللاإرادية في مباراة مؤلفة من لاعب واحد، ونسجل في نهائي كأس العالم هدفاً دبل كيك...إن ميسي نفذها في الواقع وبسهولة ناصعة.

صفّق له المنافسون قبل الزملاء... وأذهلت أهدافه حتى من لم ير مباراة كرة قدم واحدة في حياته...

ميسي، بالنسبة إلي، ليس لاعباً في الفريق الذي نشأت على الانتماء لألوانه فقط، إن ميسي مثل مزار صغير في زاوية الحارة التي تربيت فيها، أذهب إليه أوقات الأزمات، أشعل منه شمعةً، وأشعلها له، يريحني النظر إلى عجائبه، ويأخذني إلى العوالم الساحرة التي -بما أنني لم أر بيليه ومارادونا يلعبان في الواقع- كنت أعتقد أنها موجودة فقط في التاريخ... إلى أن جاء ليو، وكتب تاريخه الخاص في اللعبة.

منذ بداية تألقه في البرسا، علمت أن تقدير ميسي الحقيقي لن يكون في الزمن الذي يلعب فيه، بل سيبدأ تلقائياً منذ اللحظة التي نخافها جميعاً: لحظة تعليق حذائه وإعلانه وقف هذا السيرك المخالف للمنطق...

سيرة حبنا لميسي لم تكن كلها ليالي ساحرات، بل تخللها قطع شرايين، ولحظات شعرت فيها، كأحد الواقعين تحت سحر ابن روزاريو، بأن حجر رحى وقع على صدري من الطابق الثاني والعشرين...

فأنا الذي رفعتني ريمونتادا سان جيرمان 2017، إلى أعلى ما يمكن أن تصل إليه نشوة مشجع كرة القدم، وأنا الذي شهدت السداسية والخماسية والرباعية في الكلاسيكو، في زمن كان برشلونة يوزع سحره بالمجان على سكان هذا الكوكب، لم أكن لأتخيل بأن الكوارث ستسترد كل ما أفرحني في برشلونة، وستنهال الواحدة تلو الأخرى منذ 2018 حتى دموع ميسي في مؤتمره الأخير، صيف 2021.

مع أني شخص عقلاني جداً في كرة القدم، وأحاول دائماً رؤية الأمور بتوازن، وأعرف أنه مهما بلغ مجدك الفردي أو مجد ناديك، فإن ذلك لن

يحميك من خسارة قد تجعلك مادة دسمة للسخرية في مختلف وسائل التواصل سواء المختصة بكرة القدم أم لا، ولكن حين يتعلق الأمر بليو فأنا لا أطيق رؤيته منكسراً.

وللأسف، خلال سنواته الأخيرة عشت ما يمكن وصفه، بلغة عالم كرة القدم، أنه أشد الكوارث فتكاً، أولاً في ريمونتادا روما 2018 التي بقيت فيها أشهراً أفرك عيني محاولاً ألا أصدقها، ثم حين اعتدت الأمر جاءني ما هو أصعب منها، ريمونتادا ليفربول 2019 التي زاد من طعم علقمها: أن ليلة عرس حقيقي سبقتها بأيام، وذلك بالفوز ذهاباً على الريدز 3–0 في كامب نونصف نهائي دوري أبطال أوروبا موسم 2018–2019... فتخيلوا كيف انقلب العرس إلى مأتم...

مرارة كبيرة بقيت مع كل «بلة ريق»، ولم أكن لأتخيل أن المستقبل القريب يخبئ ما أهو أشد مرارة منها، وهنا أقصد: الخسارة المُذلة من بايرن ميونيخ 8–2 في ربع نهائي أمجد الكؤوس 2020.

كنت خلال هذه الهزات الكارثية أدقق في ميسي، وهو الذي لم يشفَ دولياً من هزائمه في كوبا أميركا مع المنتخب، كنت أتابع محياه وحركاته وخطواته كأنه ملك جريح يمشي متثاقلاً... كنت أفكر فيه كأنه أخي الأصغر، وأقول: الآن عندما يعود إلى البيت سأمسح عنه ثقل هذا الحزن...

كل تلك الصدمات لم ترتقِ إلى فكرة تخيله بقميص آخر غير برشلونة؛ فميسي بالنسبة إلى النادي مثل غاودي بالنسبة إلى المدينة، فهما محفوران ومتعشّقان ببعضهما بعضاً حتى لم يكن ليتجرأ أحد أن يفكر بفصلهما...

ورغم أني أعرف: أنها قوانين كرة القدم وسنة الحياة، فإني أعترف أني إلى هذه اللحظة يصعب على تصديق ما أراه... برشلونة بلا ميسي،

وميسي يلعب لنادٍ آخر... أعترف أني تابعت كل مبارياته في باريس، كأنه أحد أبنائي الصاعدين إلى فئة الرجال، وأن نجاحه كان يعنيني مثل نجاح فرد من أسرتي.

جراحات ميسي الدولية شفي الكثير منها برؤيته بطلاً لكوبا أميركا 2021، على حساب الغريمة الأزلية: البرازيل. البرازيل التي على أرضها تنبت كرة قدم، ولكن لا يزال كل العالم يتطلع لرؤية ليو على العرش المونديالي، مثل سلفه مارادونا، فهو إما يفعلها في قطر على إستاد لوسيل حيث النهائي المنتظر للمونديال العربي، أو لن يفعلها أبداً؛ لأن مونديال 2026 سيكون بعيداً جداً جداً عن متناول جسده، وأعصابه، ولو نظرياً.

بالمناسبة: في السنوات الأخيرة تداخلت في العائلة انتماءاتنا إلى حد كبير بتشجيع الأندية.

... لن أروي لكم كل ما حدث، أريد القول فقط؛ لكي تعرفوا قوة سحر ليو: إن أخي الذي يقترب من إنهاء العقد الخامس من العمر والذي بشّر جميع أولاد حارتنا، بما فيهم أنا، بحب برازيل زيكو وسقراط وبرناكو وروماريو، أصبح ينتظر غريمة أزلية، لا يطاق سماع اسمها كروياً في بلاد السامبا، ويشجعها...

كل ذلك لكي يختمها ليو من أعلى أعالي المجد...

وفي الختام: كانت هدية عيد ميلادي الماضي التي تركها رفيقي في غرفتي الخاصة قبل أن أصل، هي بوستر ميسي مع سان جيرمان...وطبعاً علقتها في المزار الخاص للبيت...كأيقونة يراها الجميع وتراهم.

الدوحة، حزيران/ يونيو 2202

شكر وتقدير

في بداية كتابه «كرة القدم» (Les Éditions de Minuit، 2015)، كتب جان بول توسان: «لن يُرضي هذا الكتاب أي شخص، لا المثقفين ممن لا تُهمّهم كرة القدم، ولا عشاق كرة القدم، الذين سيجدونه كتاباً عقلانياً للغاية، لكنّي كنت بحاجة إلى كتابته، لم أكن أرغب في قطع الخيط الرفيع الذي لا يزال يربطني بهذا العالم».

لقد فكرت في كلمات توسان أكثر من مرة أثناء كتابة هذه الصفحات عن ميسي، هذا كتابٌ مصيره النّسيان؛ لأن الجميع يعرف الكثير عن صاحبه، الكثير من التفاصيل الصغيرة والحكايات، التي لن يرغب أحد في قراءتها، وفوق كل شيء: مقطع فيديو لأهدافه هو أكثر إثارة بكثير من أي تفسير قد أضيفه. ومع ذلك، فقد أردت حقاً إطالة كل لحظة من الفرح التي منحها لي، من يدري ما إذا كانت هذه أيضاً حيلةً يتيمة لربطي بهذا العالم.

لكن، على العكس من ذلك، بالكاد فكّرت في المثقفين عندما كنت أكتب هذا الكتاب، ربما لأن هذه الهوّة التي لا ترى في كرة القدم أكثر من قطعة الكاوتشوك التي يسير خلفها اللاعبون، تتضاءل مع مرور الوقت، وذلك بفضل الصّحفيين الذين يكتبون عن كرة القدم من منظورٍ مختلف.

منذ ما يقرب من عشرين عاماً، كان من حسن حظي أن أكتب بانتظام عن كرة القدم في الصحافة، وخاصّة عن نادي برشلونة، أنا مدين بكل شيء تعلمته - تقنيات التّمركز والأساليب، والثقة للقيام بتمريرة محفوفة بالمخاطر - لعدد قليل من الأصدقاء والخبراء. يجب أن أوجه شكري إلى رامون بيسا في إلباييس، الذي منحني فرصة الانطلاق، ثم ديفيد توراس وألبرت جواش وإيلوي كاراسكو في إل بيريوديكو El Periódico، الذين لم يتركوني أبداً على دكّة البدلاء، وقد أعطاني بيريكليس مونيوديس تغطيةً دولية في الفيفا الأسبوعية، أنا ممتن لكل هؤلاء وغيرهم الكثير.

أودّ أيضاً أن أضيف ذكريات عن العديد من الألعاب الودية في ساعات عصيبة حقاً: المحادثات الليلية على راديو RAC1 في مقهى باڤيرا مع خافيير بوش، ومؤخراً حواراتي على راديو كاتالونيا مع بيرنات سولير. أنا مدين لهم جميعاً بكثير من الامتنان.

مقدّمة

هُناك الكثير من الطُّرق لمعرفة من هو لاعبُك المُفضّل، مثل: الصّور التي خبّأتَها مُذ كنتَ صغيراً في إحدى العُلب، وأنك فقط، من حينٍ إلى حين، تفتح العلبة لترى هذه الصور في نوبة من نوبات الحنين، والقميص الذي فقدَ ألوانه، واسم لاعبك المكتُوب عليه في الزّاوية، القميص الذي خدمك كثيراً، ولبسته كثيراً، الذي لسببٍ ما مُبهَم، بالنسبة إليّ، شخصياً، جلب لي هذا القميص الموقّع من لاعبي المفضل الحظّ في النهائيّات دائماً، وفيديوهات الأهداف والمراوغات التي تكرر مشاهدتها على اليوتيوب. كل ذلك يشير إلى لاعبك الذي لا يُمَل.

إنّ مجنوناً مثلي - لديه وقت فراغ كبير - جمَعَ تلك الصور والفيديوهات كلها؛ ليستطيعَ رؤيتها دون توقف؛ فهذا هو الإدمان الوحيد في العالم الذي لن يقتلك، بل هو العكس.

في زمنٍ ما، كان فيه روماريو لاعبي المُفضّل، كنتُ أحتفظُ بـ «أشرطة الفيديو» التي تحوي الأهداف الثلاثين التي وعدَ بها، وأحرزها، في ذلك الموسم. أكثر من مرّة، عندما كان فريق برشلونة يخسر، أو كان يَمرُّ بوقتٍ صعب، كنتُ أشاهد ذلك الفيديو كأنني أتناول حَبَّة مُسكّن، فيختفي الألم.

أتحدَّث هنا عن موسم 93-94، عندما فاز روماريو بجائزة البيتشيتشي. قد يبدو هذا الرَّقم الآن، نوعاً ما، عاديّاً بالنّسبة لنا، ذلك بسبب ما عوّدنا عليه ليو ميسي، لكن يُمكن القول إنَّ ذلك كان ظاهِرةً خارقة للطّبيعة وقتَها. بدَتْ العديد من هذه الأهداف وكأنّها مُخترعة أو غير واقعيّة- كما لو أنَّ أحداً لم يكن قادراً على تحقيقها قبله: تقنية «ذيل البقرة» أمام رافائيل ألكورتا (عندما يسيطر اللاعب على الكرة بإيقافها وتحريكها بعدة اتجاهات بشكل متكرر)، والانسياب، والجري الذي لا يزيدُ عن مسافة مترين، واللَّمسة النَّاعمة والسّحريّة والتي ترافقها طريقة التّغيير المُتموّجة في السُّرعة، الوضعيّة التي اتَّبع بها الحركات، مثل حيوان مُفترس يتحرّك خلسة... قد يبدو ذلك مبالغات لا يُمكن تصْديقها، لكن في الواقع، عندما أُراجِع مجمُوعة المُباريات والأهداف، أشعُرُ أنّني أتابعُ حقّاً كلَّ ما شهدْناه خلال العقد الماضي. كما لو كان فريق الأحْلام هو بدايةُ الافتتاح للعَرض الذي حقَّقه تشافي، وإنييستا، وبويّول، وبوسكيتس، وميسي، وكلّ الفريق، خاصَّةً في السَّنوات التي قام فيها بيب غوارديولا وتيتو فيلانوفا بتدريبهم.

التقويم الزمني جعلنا مَيّالين لرؤية كرة القدم ظاهرة مستقيمة، تقفز في الزمن، وتتجدّد في كلّ مباراة، وذلك بسبب تغير النتائج، وتغير الأبطال الذين تنتهي صلاحيتهم حين يبدأ موسمٌ جديد. بالنسبة إلي تُعجبني رؤية ذلك، كأنه مساحة يندمج فيها الماضي والحاضر ويتوهان معاً، وكأن ما هو نهاية عند جيل، هو بداية عند جيل آخر.

في هذا الكتاب أضعُ أمثلةً عمليّةً عن هواياتي، وهي: الغوص في تفاصيل كرة القدم. ورأيي: أن كرة القدم مساحة للذاكرة أيضاً، تزيدُنا حماساً؛ ذلك لأنّها تسمحُ لنا بالعودة إلى الماضي، ولأنها تسمحُ لنا برؤية

أفضل لاعبيها مرّة أُخرى، ونسيان النهائيات الخاسرة، وأن نرى أنفسنا مكان أولئك اللاعبين. مزيجٌ من ذكريات وأمنيات. في الحقيقة: هناك أهداف مؤلمة جداً في ذاكرتي، لم تُحقَّق أبداً بسبب بضعة سنتيمترات، إما لأن الكُرة ضَربت العارضة، أو لأنها لم تَدخُل الشِّبَاك. وفقط بعد بضع سنوات، لاعبٌ آخر، في مباراة أُخرى، وضع حدّاً لذلك في ذاكرتي، كان يُحرز هدفاً رائعاً، في الحقيقة كان يُحرز هدفين: واحد في الحاضر، وكان يحتفل بما أحرز، وهدف آخر كان يُحرزه في الماضي، وهذا كنت أحتفل به وحدي. ما أريدُ فعلاً قوله، هو: أنّ كُرة القدم لعبة مسلّية أكثر عندما تُرى عالمٌ موازٍ: ديانةٌ تُتبَع، هذا إن أردتم، أو مَذهبٌ فلسفيّ، أو حركةٌ مقاومة ضدّ العشوائيّة والحظ. كلُّ واحدٍ منا يرى المباراة بما يختلف عن الآخر. وكلنا مُدرِّبو كُرة قدم. إنها المكان الذي تجتمع فيه الأضداد، وتتوحد فيه الرغبة في خوض الحرب الشريفة.

أعود إلى البداية. في حالتي، من بين الأسباب المُضاعفة لتقرير أن ليونيل ميسي هو لاعبي المُفضّل على مرّ الزمان، هو: حقيقة أني أحياناً أحلم به. أتذكّر أني في الماضي فقط، حلَمتُ بإحدى مُباريات رونالدينيو، أو إحدى مُباريات «جو كوليكتيو»، دون التّمييز بين اللاعبَين. بالمقابل، حلَمتُ بميسي مرّات عديدة: حلمتُ أنّني أبوه، وأنّني أُقدّم له وجبة الفطور وهو يجلس على مَشرب البار، بالتأكيد كان ذلك في مدينة روزاريو المدينة التي لم أزُرها أبداً، وحلمتُ به بدءاً من رابطة الدّم، كأنني أخوه الكبير الذي يُرافقه في حافلة فارغة، ثمّ أركُن الحافلة خارج ملعب كُرة قدم صحراوي، وحلمتُ به وهو يُحرز أهدافاً استثنائيّة، مُراوغاً ومُتحدّياً قوانين الجاذبيّة، ومبتكراً حركات تُعرَضُ أمامي كأنها شفق قُطبي. أفترض

أن هذا التفصيل الصغير يستطيع أن يُفسّره لي أحد المحللين النّفسيّين الفرويديين، ويستطيع أن يُفسّر لي أشياءَ أكثر عني، وليس عن اللاعب الأرجنتيني. لكنّني أفهم ذلك، بل أُريد أن أَفهم ذلك. أحياناً، في تلك الأحلام التي كانت تراودني، كان ميسي وحيداً، ذلك كان يشعرني بأننا أصدقاء، وأنه يحتاجني. لا أعرف لماذا، ولكني أعتقد أنه تَواصلٌ من نوعٍ آخر ينتابني نحوه، من حاضرٍ أَبعد من هذا الحاضر، إنها علاقة لها مكانٌ خاص في العالم الأثيري وفي عالم الأحلام والأوهام. هو لا يعرف ذلك، لكني في الكثير من الأحيان أشعر أنّني برفقته أكثر سعادة بلعبة كُرة القدم، في الحقيقة الآنية وفي عالم الأحلام الخُرافيّة. هذا الكتاب نشأ، منذ زمن، محاولة خاصّة لتقديم هذه السّعادة، أكثر مما هي محاولة لِفَهمها وتفسيرها. عرّف إيتالو كالفينو خصائص الفن في القرن الواحد والعشرين، وهنا أردد خلاصته: «إنّ ميسي وفى بكلِّ شيء: الخفّة، والسّرعة، والدّقة، وبُعد النّظر، والتّعدُّدية (وسأشرح هذا فيما بعد).

عندما كنتُ أقوم بتجميع صور لاعِبي كرة القدم، كانت كلّ بطاقة تجمَع بين صورتين: واحدة للّاعب في هيئةٍ ثابتة، أو بوضعيّة القرفصاء استعداداً للصّورة، وأخرى وهو يلعب، يركلُ الكرة، أو يستعيدها، أو يتصدّى لها إذا كان حارس مرمى.

يجسد ميسي هاتين الحالتين مثل أي شخص آخر: حالةُ السّكون وسط الميدان، بخطواتٍ بطيئة، والسرعة المدروسة. قد يمكن تعريف هذه البطاقات بأنّها بطاقات صورٍ مُتحرّكة، كأحد مقاطع الفيديو القصيرة التي تُنشر الآن على الإنترنت، والتي بإمكانها تلخيص لعبةٍ كاملة في

خمسِ ثوانٍ. أمّا أنا فسأُريك الحركة بكلماتي: بشكلٍ مستوحى تقريباً من نمط الكاتب ريموند كوينو، سأحاول تتبُّع بعض تمارين ليو ميسي ووصفها. تحليل ميسي، وإعادة صياغته مُستخدماً الكلمات. سيكون هو بطل كلِّ نص، الوجوه العديدة التي تعرضُ الأسلوب، وسيكون عملي في هذه الصفحات، هو: التقاط الجمال، والشغف، والعبقرية، والحداثة، والهوس، والغريزة، من بين أشياءَ كثيرةٍ أخرى، للاعب كرة القدم الأفضل في التاريخ. من المحتمل أن يكون ميسي الهدف، وبرشلونة هي الكلمات الأكثر ظهوراً في كثيرٍ من الأحيان - حسناً، والأرجنتين- . لكن، هل هذا كل شيء؟ بالطبع لا!.

تغلبُ على هذه الصفحات حالةٌ من السعادة: هي غير مكتملة؛ إنّها عملٌ مستمر، لعبةٌ لا تزال تُلعب. طالما بقي ميسي لاعب كرة قدمٍ محترف؛ فقد تتغير بعض العبارات، بل سيتعيّن علينا تغييرها. أنا لا أشير فقط إلى الإحصائيات التي تلخص ببرود مسارهُ الفريد، ولكني أشير أيضاً إلى العاطفة والحماس والقدرة على الابتكار في كلِّ مباراةٍ، وإيجاد سُبلٍ جديدة للتعامل مع ممكنات الكرة التي لم يسبق حصولها من قبل في عالم كُرة القدم، كرسام قادر على ابتكار لونٍ جديد؛ لأن ما لديه لا يكفي مُخيّلته وقدراته.

أراجع هذه الكتاباتِ بعد عامٍ ونصف العام من نشر النُّسخة الأولى باللغة الكتلانية، في نيسان، أبريل 2018. في هذا الوقت، فاز ميسي بالعديد من الألقاب مع نادي برشلونة، لكنَّه قبل كُلِّ شيءٍ عانى من خيبة أملِ عدم فوزه باللقب في كأس العالم مع منتخب بلاده - أعظم أمنية للأرجنتيني- وكأس أمريكا 2019. إلى جانب الألقاب التي نالها مع نادي برشلونة، ترك

لنا أيضاً سلسلة طويلة من العروض التي لا تُنسى، والتي جعلت المشجعين والصحفيين، مرة أخرى، يتساءلون: ألا يوجد حدود لإبداع هذا اللّاعب؟

كمثالٍ على ذلك: فوز برشلونة على توتنهام هوتسبير، في دور المجموعات من دوري أبطال أوروبا، تشرين أول، أكتوبر 2018. حقق برشلونة الانتصار (2-4) على ملعب ويمبلي، بأداءٍ ممتازٍ لميسي تضمن تسجيله لهدفين، وتسديدتين على العارضة، وقبل كل شيءٍ شعوره بقيادة فريق كرة قدمٍ رائعٍ ومتميّز.

في تلك الليلة، العديد من البريطانيين، الذين نظروا إلى لاعب برشلونة رقم 10 بعدم اهتمام - كأنّهم يقولون «لا يوجد شيءٌ من هذا القبيل»- ثمّ بعد ذلك أعادوا اكتشاف ميسي.

قد نعتقد: أن هذا الامتياز يقتصرُ على المُناسبات الأكثر أهميّة. لكن، اتّضح أن الدوري الإسباني قدّم أيضاً عدداً من هؤلاء العباقرة الذين يجوبون أنحاء العالم. إذا اضطُررت إلى اختيار لحظةٍ من هذا الموسم، لحظةً ستظلُّ حاضرةً في ذاكرة كرة القدم، فستكون المباراة ضد بيتيس على ملعب بينيتو فيامارين (1-4)، آذار، مارس 2019. سجّل ميسي ثلاثية، ثلاثة أهدافٍ توجت بلعبة لن ترغبَ في التّوقف عن مشاهدتها: يتلقى تمريرة من راكيتيتش عند بداية المنطقة، إلى اليسار قليلاً، وعندما تصل الكرة يداعبها بتسديدةٍ رائعة لا يمكن تصوّرها، بدقة كأنّها تقنية النانو، ترتفعُ الكرةُ برفق، تمرُّ فوق الحارس باو لوبيز، وتدخل مجتازةً العارض الطويل، أمرٌ يصعب تصديقه.

يبدو الأمر للمُشاهد كما لو أنّه لم يفعل شيئاً، كما لو كان أمراً بسيطاً

جداً، لكن في الوقت الحالي، نعلم جميعاً: أنّ ما رأيناه أمرٌ غير عاديّ، بل إنه شكلٌ من الإبداع. حتى مشجعي بيتيس رغم الهزيمة المؤلمة كانوا يصفّقون ويصرخون باسمه: ميسي، ميسي، ميسي! يشكرونه على تمكّنهم من مشاهدته، وهو يلعب على الهواء مباشرة. (في نفس المباراة، سجّل لويس سواريز هدفاً بعد عبورٍ زعزع خط الوسط، مراوغاً أربعةً من المدافعين، وهو ما كان من الممكن أن يكمله ميسي. بالإضافة إلى التّأكيد على العلاقة بين اللاعبين، يمكن عد ذلك بمثابةِ بديل الهدف: الجرأة والإلهام اللذين يتلقاهما زملاؤه في الفريق عندما يلعبون إلى جانبه).

أحد الأسئلة التي يطرحها مشجعو برشلونة خصوصاً، وكرة القدم عموماً، بتكرار، هو: ما الذي سيفعله ميسي عندما يعتزل؟ نظراً لأن هذه الرياضة تعيش في حاضرٍ يتجدد مع كل لعبة، فإن هذا السؤال، أو الجواب عنه، يبدو بعيداً في الوقت الحالي، ولا يمكن التنبّؤ به. ولكن، في نفس الوقت نعلم: أنه قانون الحياة، ولا بد في يوم أو آخر أن يأتي ذلك. منذ بلوغه سن الثانية والثلاثين في حزيران، يونيو 2019، كان ميسي يلعب على أعلى مستوى له منذ أكثر من خمسة عشر عاماً.

أحياناً، أراجع مقاطع فيديو قديمة، وأتفاجأ: أراه جنباً إلى جنب مع رونالدينيو، وفيا، وتشافي، وإنييستا، وألفيش، ونيمار، يحتفلون بالأهداف، وأعتقد لوهلة: أنّ هذه الصور غير حقيقية. يبدو على ميسي التغيير، بالطبع، يتطور جسديّاً ويتكيّف مع الظروف الجديدة، لكن إيماءاته وأسلوبه يذكرانني إلى حد ما بـ «دوريان غراي»، كما لو أن تسجيل الأهداف وتحطيم الأرقام القياسية قد أبقياه شابّاً. في الواقع، من السمات الواضحة عليه في هذا الموسم فرحته في أثناء اللعبة، يبدو أكثر سعادةً رغم

طبيعته التنافسية، كأنه تحرّر من ضغوطات السّن، وفهم أنّه يريدُ أن يستمتع بكلٍّ لحظة.

بسبب هذا كلّه، عندما أتصوّر المُستقبل، وأحاول تخيُّل المرحلة النهائيّة لميسي، لا يمكنني تخيُّل أنّ أداءه قد يتراجع في كرة القدم. فقد أظهر لنا على مرّ السّنين قدرته على التكيّف مع التغييرات، بالإضافة إلى غريزة معرفة كيفيّة تحقيق أقصى استفادة من المميزات التي يمتلكها في تلك اللحظة بالتحديد، سواء كانت السُّرعة، أم القدرة على التمرير، أم تحليل الخصم وتحديد نقاط ضعفه. ستكون مراقبة هذا التّجديد المُستمر، لعبةً تلو الأخرى، أحد الحوافز الرائعة لرؤيته يلعب حتى النهاية. وبعد ذلك سيكون لدينا دائماً تلك الذاكرة المُمتعة، وسنستمتع أيضاً بسردها مرّةً أخرى.

برشلونة، كانون أول / ديسمبر 2019.

مقدمة الطبعة العربية

أعيد كتابة هذه المقدمة للطبعة العربية من كتابي، بعد أربع سنوات بالضبط من نشر النسخة الأولى باللغة الكاتالونية، في نيسان، أبريل 2018. خلال هذا الوقت، عانى ميسي من خيبات أمل شديدة مع المنتخب الوطني: لم يفز بكأس العالم في روسيا مع منتخب بلاده - الرغبة المطلقة في أن يكون أرجنتينياً- ولا كوبا أميركا في عام 2019، لكنه رفع كوبا أميركا في عام 2021، وهو لقب خاضه في نهائي ستاد ماراكانا العظيم، ضد البرازيل لا أكثر ولا أقل، وهذا حدث احتفل به كأهم نجاح في مسيرته.

في غضون ذلك، فاز مع نادي برشلونة ببضعة ألقاب. لكن هذه الفترة الأخيرة قد حُددت أساساً بالإقصاءات المدوية في دوري أبطال أوروبا، ضد روما وليفربول، وخاصة في عام 2020 الذي سيطرت عليه قيود Covid-19. بالكارثة الرهيبة ضد بايرن ميونيخ في ربع النهائي، بهزيمة 8-2. وهي أول مرة منذ سنوات عديدة، أنهى برشلونة هذا الموسم دون أن يفوز بلقب واحد.

بعيداً عن الملعب، ونتيجة لكل هذه الهزائم (وإدارة النادي الكارثية من قبل مديريه والرئيس)، عشنا نحن مشجعي برشلونة، أيضاً، اللحظة الأكثر

أهمية في مسيرته الرياضية: 5 آب / أغسطس 2021، يوم أعلن برشلونة، لأسباب اقتصادية، بسبب اللعب المالي النظيف، عدم تمكن النادي من تجديد عقد ليو ميسي، واضطر إلى تركه يرحل. كان الوضع غريباً، بل كان سريالياً. قبل عام تقريباً، أعلن اللاعب: أن الوقت قد حان لمغادرة برشلونة والبحث عن تحديات احترافية جديدة. لكنه اضطر أخيراً للبقاء في النادي حتى انتهاء عقده في حزيران، يونيو 2021. الآن، من ناحية أخرى، عندما قرر أخيراً البقاء والاستمرار في برشلونة حتى نهاية أيامه الرياضية، أخبره النادي: أنه لا يستطيع الاحتفاظ به بسبب عجزه المالي، وجهوده المالية العديدة للتوازن. ولقد كانت صدمة هزت عالم كرة القدم مثل الزلزال. وحتى اليوم - عندما يكون اللاعب بالفعل بقيادة باريس سان جيرمان- لا يمكن فهمها. خلال هذين العقدين من الزمن كنا مفتونين بكرة القدم في برشلونة، وما بدا كأنه اتحاد أبدي بين النادي واللاعب، قد تلاشى فجأة. أما ما سيحدث في المستقبل فقد أصبح أكثر صعوبة للتنبؤ به. نحن نعلم الآن: أن نهايته قد لا تكون في برشلونة حتى يومه الأخير، كما خططنا دائماً، وهذا الشك جزء من الشعور المؤقت لهذا الكتاب، الذي يُنشر بينما لا يزال ميسي لاعباً محترفاً.

إن الشعور بالشوق يكون أكبر؛ عندما تعتقد بقيادة ميسي وتجدد إبداعه رغم كل الأزمات، وبعيداً عن الألقاب وشكوك المستقبل، وهو ما أظهره لنا العامان الأخيران، والمرجعية في الفريق أكثر ثرثرة من أي وقت مضى. لقد قدم كل شيء للفريق، وترك لنا سلسلة طويلة من العروض التي لا تنسى، والتي تجعل المشجعين والصحفيين يتساءلون مرة أخرى: أين حدوده؟

من الأسئلة التي كثيراً ما نطرحها نحن عشاق برشلونة وكرة القدم: ما الذي سيفعله ميسي عندما يعتزل؟ وأكثر من ذلك بعد رؤيته يلعب مع باريس سان جيرمان جنباً إلى جنب مع أصدقائه نيمار ودي ماريا وباريديس، وعبقرية مبابي. نظراً لأن هذه الرياضة تعيش في حاضر يتجدد في كل لعبة، يبدو هذا التاريخ الآن بعيداً، ولا يمكن تصوره. ولكن في نفس الوقت نعلم أنه قانون الحياة، وفي يوم أو آخر سيصيبنا هذا الفراغ. سيبلغ ميسي من العمر خمساً وثلاثين عاماً في حزيران، يونيو 2022، وكان يلعب في الدرجة الأولى منذ ما يقرب عشرين عاماً.

مقابل هذا الشعور بالاكتمال، يمكن القول إن الموسم الأول الذي قضاه في باريس سان جيرمان لم يسفر عن النتائج المتوقعة، سواء شخصياً أم جماعياً. نعم، فاز باريس سان جيرمان بالدوري فوزاً صعباً، كما فعلوا في المواسم الأخيرة، لكن الإقصاء في دوري أبطال أوروبا أمام ريال مدريد قد حطم تطلعات ميسي. من وجهة نظر شخصية: لقد لعب ميسي طوال الموسم بشكل محرج، كما لو أنه لم يستطع التعود على قميص باريس سان جيرمان، وكأنه غير مرتاح بارتداء الرقم 30 (كان قد تنازل عن الرقم 10 لصديقه نيمار). لم يكن فريق بوكيتينو منتظماً حول ميسي، وأول مرة في مسيرته لم يكن في قلب اللعبة، كما يمكن افتراض أن المناخ في فرنسا لم يناسبه أيضاً. الآن أمامه موسم ثانٍ في فرنسا بكعكة كبيرة في المنتصف يريد ميسي أن يأكلها: كأس العالم 2022 في قطر. أنا متأكد من أن كل شيء سيأتي في موسم 2022–2023 سيكون مشروطاً بهذا الحدث الرئيس.

برشلونة، أيار / مايو 2022

المرّة الأولى

حتّى لا نُضيّع المزيد من الوقت. ظهر ليو ميسي أوّل مرّة في فريق برشلونة بهزيمة غير منطقيّة: 2–0 في مباراة ودّية ضدّ بورتو، للاحتفال بافتتاح ملعبهم الجديد، استاديو دو دراغاو. كان يوم الأحد 16 تشرين الثاني، نوفمبر 2003، واليوم يتمنى الكثير من البرتغاليين: لو أن ميسي سجّل هدفه الأوّل- في التّاريخ- على أرض ملعبهم. لكنّه لم يفعل. لقد كانت بدايته بالحالة الطبيّعيّة نفسها التي تحكم حياة جميع لاعبي كُرة القدم الشّباب: في يوم من الأيام تُستدعى إلى مباراة ودّية مع الفريق الأوّل، فتُسافر مع كبار اللاعبين، وتَنظُر إليهم بخجل وإعجاب، ثمّ يجعلك المُدرّب تلعب عشرين دقيقة في نهاية المباراة؛ فتُدهشك هذه الفرصة التي تبدو كما لو أنها هديّة من الآلهة، ثم يتملّكَك الخوف، وتتذكّر كلّ ما كان يمكن أن تفعله، ولم تنجح في فعله. في حالة ميسي، كان الأمر على هذا النحو تماماً: في الليلة السابقة لم يَنمْ بسبب حالة القلق، وفي اليوم التالي أعرب عن أسفه لفرصة تسجيل هدف جيّدة قد أضاعها. ومع ذلك، فقد شاهدتُ اللعبة - مؤخراً- مرّة أُخرى. ومن منظور المعلومات، وبعد مُضي السّنوات، صار من السّهل أن أرى ذلك الصّبي القصير في

القميص الفَضفاض يركض بخفة، دون صراخ، يُنعش ليلةً مملّةً إلى حدٍّ ما في البرتغال، التي هي نفسها - أي البرتغال- ليست دولة حيويّة للغاية. إلى درجة أنّي تساءلت: ماذا كان سيحدث لو لَعِب ميسي فترة أطول، أو ماذا كان سيحدث لو لَعِب بدءاً من الدّقيقة الأولى؟

نظراً لأنّ مُعظم لاعبي الفريق الأوّل كانوا مع منتخباتهم الوطنيّة؛ فقد شكّل فرانك ريكارد بعد ظُهر ذلك اليوم تشكيلة ظرفيّة طارئة: جونكيرا، وأوليغيه، ورافاييل ماركيز، ونافارو، وغابريّل، وتشافي، ولويس إنريكي. وكلهم كانوا من الأسماء المعروفة، أما باقي اللاعبين فقد جاؤوا من الفئات الدُّنيا. في الشّوط الثاني، كانت رقصة التّغيير النّموذجيّة للمباريات الودّية؛ لأنّ كلّ شخص يجب أن يلعب، وأخيراً، في الدّقيقة الرابعة والسبعين، حدثت اللحظة الحاسمة، لحظة ألفا، المعموديّة ذهبيّة الأصل، ها هو ميسي قد خَطَا أُولى خطواته في الملعب، بعد أنّ حلّ مكان فرناندو نافارو، وكان يرتدي الرقم 14 على ظهره، وفي أثناء سيره باتجاه الملعب، إلى حيث أمره المدرّب أن يتمركز، كان مُعلّق التلفزيون البرتغالي يقول: «في كاتالونيا يقولون إنّه يُذكّرهم بمارادونا».

الآن، يبدو هذا البيان منطقيّاً بالنّسبة إلينا، حتى إنّه يحتوي على نقطة يمكن التّنبّؤ بها، ولكن بعد ذلك لا بُدّ أنّه بَدَا محفوفاً بالمخاطر. كان عمر ميسي ستة عشر عاماً و أربعة أشهر و ثلاثة وعشرين يوماً. كان ثالث أصغر لاعب يَظهر أوّل مرّة في الفريق الأوّل، بعد: هارونا بابانجيدا الذي ظهر في عمر خمسة عشر عاماً وتسعة أشهر وأحد عشر يوماً، والأسطورة باولينو ألكانتارا، ذلك المُهاجم الرّائع الذي سجّل ثلاثة أهداف في أوّل ظهور له في شباط، فبراير 1912، عندما كان يَبْلُغ من العمر خمسة عشر عاماً و أربعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

هذه الأرقام القياسيّة، وهي ثابتة في مسيرة ميسي المهنيّة، قد تُلقي بظلالها على جوانب أُخرى؛ لتكشف بداياته أكثر، كما لو أنّ الماضي أصرّ على اللعب في الحاضر. كان مُدرّب بورتو في ذلك الوقت هو جوزيه مورينيو. لقد قلنا بالفعل: إن لويس إنريكي، في ذلك اليوم، لعب مهاجماً وقائد برشلونة. ووضع ميسي لاعب خطّ الوسط، - أو «على الخطّاف»، كما يُحبّ أن يقول- وفي الدقيقة الثمانين تلقّى تمريرة عميقة من لويس إنريكي، كانت على وشك أن تُصبح هدفاً. وبعد بِضع دقائق، سرق الكُرة من حارس المرمى، وكان واضحاً أنّه سيسجّل هدفاً، لكنّه فضّل أن يُمرّرها إلى زميله في الفريق، ولم تنجح المسرحيّة. يُمكن القول: إنّ ميسي حقّق أقصى استفادة من تلك الدّقائق العشرين، وكان نشيطاً وخطيراً ويتحرّك بخفة. في اليوم التالي، نُشِر في مقالة التّحليل الرياضي لتلك المباراة، أنه تمّ منح ميسي ثلاث نجوم، ووصفه المقال بأنّه «تقنيّ رائع»، ولقد ذكر المقال أن ميسي لعب رونالدينيو.

في ذلك اليوم، جنباً إلى جنب مع ميسي، ظهر العديد من الشّباب أوّل مرّة، ظهروا نجوماً واعدة من برشلونة. كان هناك أوريول ريرا، الذي اعتزل تواً في سنّ الرابعة والثلاثين، بعد أن سجّل أهدافاً في دوري الدرجة الأولى في إنكلترا، وفي الدوري الأسترالي، وفي العديد من الفِرق الإسبانيّة في الليغا. أو تيا غو كالفانو البرازيلي الذي لعب مع برشلونة ثلاث مباريات، ثم لعب في ألمانيا وسويسرا وأستراليا والولايات المتّحدة. أو مانيل إكسبوسيتو، وهو مُسافر آخر ذَهبَ أيضاً إلى أستراليا، وانتهى به الأمر إلى التّقاعد بعد اللعب في ك.ا.س أوبن في الدوري البلجيكي. وكذلك جوردي غوميز، وهوشابٌ مثل ميسي، ولكنه سرعان ما ذهب إلى كُرة

القدم الإنكليزية، ثمّ ذهب إلى بلغاريا، ويلعب حالياً مع أمونيا نيقوسيا في قبرص. كلّ هؤلاء تجاوزوا سن الثلاثين، وتقاعدوا من الحرب الكروية، وأخذتهم شؤونهم الحياتية إلى وظائف أخرى، لكنّهم بالتّأكيد يتذكّرون تلك الظهيرة التي ظهروا فيها أوّل مرّة مع ميسي. إنهم يرددون ذلك دائماً، كما لو أن تلك اللحظات مع هذا الفتى الصغير هي لحظتهم التاريخية الحقيقية. بالحق: هل أخبرتكم عن اليوم الذي لعبت فيه أنا وميسي مع برشلونة أوّل مرّة؟.

طفل

كان جميع لاعبي كرة القدم المحترفون، أوّلاً وقبل كلّ شيء، فِتْياناً يلعبون بالكرة، أطفالاً يريدون أن يركلوا كلّ شيء، حتى إنهم في بعض الأحيان لا يحتاجون إلى خصم؛ كلّ ما يحتاجون إليه جداراً لتسديد الهدف؛ فقد كانوا مسكونين بالشغف والرغبة في لمس الكرة. حظ ليو ميسي هو أنّه كان لديه شقيقان أكبر منه - رودريغو، وماتياس- وثلاثة من أبناء عمومته لعب معهم مباريات صغيرة، وهو ما يسمّونه في الأرجنتين «بيكاديتو». كانوا يلتقون في أيام الآحاد في منزل جدّته لأمه، واسمها سيليا، وكانوا يلعبون كرة القدم في الصباح وبعد الظهر. كانوا يعيشون جميعاً في نفس الحيّ «روزاريو»، واتّبعوا جميعاً نفس المسار: أوّلاً، عندما كانوا صغاراً، لعبوا في نادي غراندولي لكرة القدم، بجوار منزلهم، ثم ذهبوا إلى نيويلز أولد بويز.

في بعض الأحيان، عندما ينتقدون دور ميسي في المنتخب الأرجنتيني، يلومه معظم المشجّعين الراديكاليين على أنّ أسلوبه في لعب الكرة لا يأتي من الشارع، ولا من الملاعب الرّمليّة في الأحياء الفقيرة، أو كما يُسمّونها «كرة الشوارع». ميسي متهم بأنه يلعب كأرستقراطي، وهذا تقييم خاطئ،

صحيح أنّ ميسي وَجد فوراً، في سنٍّ الخامسة، نادياً منَحه وتيرة لعب أكثر تنظيماً في مباريات سبعة ضد سبعة، لكنّه مثل جميع الأطفال استغلّ كلّ لحظة للعب كرة القدم. يذكُر أحد أساتذته: إنّ ميسي كان يسير في الشارع متّجهاً إلى المدرسة، والكرة دائماً بين قدميه.

بعيداً عن التّحيّز لكرة قدم المدينة، أو «لكرة الشوارع»، هناك ذكريات اللاعب الأرجنتيني خورخي فالدانو، الذي وُلِد في لاس باريجاس، وهو حيّ يقع في ضواحي روزاريو، وقد خطا خطواته الأولى لاعباً لنيويلز، وفي إحدى المقابلات عَرَّف طفولته الكرويّة على النّحو التّالي: «كنت أخرج من منزلي، وأجد نفسي في ملاعب كرة قدم بطول ألف كيلومتر، سهل لا يَمرّ به سوى عدد قليل من الأبقار، وفيه بعض الأشجار، وكلّ ما تبقّى كان بالنسبةِ إلي ملعباً لكرة القدم».

كان فالدانو ينظُر إلى العالم على أنّه ساحة لعب لا نهائيّة، إنّها صورة الحريّة التي تُحفّز خيالنا. في كل مرّة نسمع قصصاً عن لاعبين برازيليين أو كولومبيين أو أرجنتينيين من أصول متواضعة، نشؤوا في الشّوارع، وعلى الشّواطئ، وهم يلعبون حفاةً في الأحياء الفقيرة، مع كرة نصف مفرّغة من الهواء. إنّها صورةٌ أسطوريّة نُحبّها؛ لأنّها تروق طفولتنا، تدغدغ الحنين إلى كرة القدم بدون الأدوات الاحترافيّة التي نعرفها اليوم. مباريات اثنين ضدّ اثنين، ثلاثة ضدّ ثلاثة، هدف بعوارض مُحدّدة بحجرين من الطوب. ربما، على النقيض من ذلك، أكثر ما يُثير الدّهشة في ميسي هو مَقاطع الفيديو التي ظهر فيها عندما بدأ اللعب، كما لو كان كلّ شيء قد كُتِب مسبقاً، ليصبح ميسي ما هو عليه الآن. إنّه ينتمي إلى جيل تمّ تصويره بالفيديو، ولسنا بحاجة إلى تخيُّل طريقة لعب هذا الطفل، بل نراه في سن الخامسة،

على وشك بلوغ السادسة، في ملعب ترابيّ في حيّه في غراندولي، وما نتخيّله فعلاً حول بدايات ذلك الصبي هو شيء مذهل.

الذي سأخبركم به الآن، سيجعلكم ترغبون في الدخول إلى منصة اليوتيوب: ميسي كان الأصغر حجماً في الفريق، لكنّه كان يحمل الرقم 10 على ظهره. قد يكون الأمر متعلقاً بوالده، أو ربما لديه مُدرّب يفهم تماماً ما يفعله. عندما تبدأ الكرة في التحرّك، يبحث جميع الأطفال عنها، ويلاحقونها، ولا يوجد الكثير من التّنظيم أو الدّفاع، فهم جميعاً يريدون ركلها بأي طريقة ممكنة، يركضون بدون إيقاع، ويتوقفون عندما يتعبون، عمرهم خمس أو ست سنوات، ماذا يريدون؟ هم لا يريدون سوى الحركة والمتعة، ومع ذلك، يوجد في وسطهم ذلك الطفل الآخر الذي يفعل ما يفعلونه، وفي نفس الوقت يكون مختلفاً، فهو يعرف ما يُريد أن يفعله، وينجح بذلك، يبحث عن الكرة، وعندما يحصل عليها لا يتركها، إنّه يتوقف فقط إذا احتاج الأمر، وإذا لم يكن ذلك، فإنّه يركض، ويراوغ، ويُسدّد في المرمى، ثم يُرغم الفريق المنافس على الخروج من وسط الملعب، ويأخذ الكرة منهم، ويسدّد هدفاً مرّة أُخرى، يحتفل به قليلاً ثمّ يتّجه نحو مكانه في الوسط، يركض وذراعيه بالقرب من جسده، ويبدأ مرة أخرى من جديد. يمكننا أن نسمّي ذلك عصور ما قبل تاريخ ميسي الذي نعرفه الآن.

يُصوّر بعض الآباء حفلات أعياد ميلاد أطفالهم أو رحلاتهم على الشاطئ، بينما يُصوّر آخرون أطفالهم وهم يلعبون كرة القدم. ونظراً لأنّ ميسي أصبح النّجم الذي أصبح عليه الآن، فقد ظهر الكثير من الذكريات مع الأشخاص الذين عرفوه في ذلك الوقت، على سبيل المثال: أفراد عائلة ميينديز، من ليما، الذين مازالوا يحتفظون بالقميص الأول لميسي

الذي أهداهم إياه لكونه لاعب كرة قدم. وهذا القميص يعود إلى المرحلة التي كان يلعب فيها ميسي في فريق نيولز أولد بويز. في المرّة الأولى التي غادر فيها ميسي بلاده، ذهب إلى البيرو لِلّعب في البطولة الدوليّة للصّداقة، وأقام في بيت عائلة مينديز. في الليلة الأولى قدّموا له دجاجاً مشوياً على الفحم في العشاء، وكان الدجاجِ يحتوي على بهارٍ حارّ، مما جعل ميسي يشعر بتوعك في معدته، وفي اليوم التالي بدا كأنّ ميسي لا يستطيع اللعب، لكنه في اللحظة الأخيرة شرب «الصودا»؛ فشعر بالتّحسن.

فاز فريق ميسي في تلك المباراة 0/ 10، وبنفسه سجل ثمانية أهداف منها. في اليوتيوب نستطيع أن نجد فيديوهات عن تلك البطولة التي فاز بها فريق نيويلز بقيادة هذا الفتى.

منذ بداية ميسي في كرة القدم وحتّى التاسعة من عمره، كان ما يزال اللاعب الأقصر قامة في فريقه، إلا أنّ ذلك لم يمنعه من أن يصبح المُنظّم الأول لتحركات الفريق داخل الملعب، ولقد كان دائماً -وما يزال- الشخص الذي يخلق الفارق: مدافع من فريق الخصم يركل الكرة بعيداً، الطفل ميسي يُنزلها بتحكّم دقيق، ويراوغ دفاع خصمه الأطول منه قامة، ويُسدّد باتجاه المرمى. يحتفل به زملاؤه كأنّه اللاعب الأكبر سنّاً، يرمون بأنفسهم عليه ويصرخون بفرح ممزوج: «أوليه، أوليه، أوليه!».

وصل ميسي فريق برشلونة في سنّ الثالثة عشرة، وصل ليبدأ رحلة جديدة من الأحاسيس التي ستستمر في الانفجار عالياً بتجديد. إن من أكثر الأشياء الرائعة حول مشاهدة مقاطع الفيديو الخاصة بميسي في تلك الفترة، هي عندما كان يلعب مع طلاب برشلونة أو مع الشباب؛ لأنك ستكتشف في العديد من الجوانب أنه لم يتغير: شغفه، وعفويته،

ومرونته، وانسيابيته، كما لو أنه قد اكتسب موهبته كاملة منذ ولادته، أو كأنّه يَعبرُ الوقت، ويحتفظ بكل صفاته سليمة لا ينال منها الزمن. كان يلعب ويراوغ ويُسدّد ويضع جسده في المقدّمة، وكان يُنهي المباراة كما يُنهيها اليوم، ينظر إلى السماء ويهدي الهدف لجدته سيليا.

سيليا هي من كانت تُرافق جميع أحفادها إلى التدريب، وهي من أقنعت المُدرّب بالسماح لميسي باللعب وهو صغير جدّاً، ماتت عندما كان ميسي في الحادية عشرة من عمره. في كلّ مرّة يحتفل فيها ميسي بإحراز هدفٍ ما، ينظر إلى السماء تخليداً لذكرى جدّته، ويبدو الأمر كما لو أنّ هذه اللفتة الجميلة من ميسي تتجاوز السنوات، ليعود بالزمن إلى الوراء، ويعيدنا معه، كي نرى ميسي، طفل تلك المرحلة الذي يخبر جدته دائماً:... أنه ممتن لها.

منديل ورقي

قد لا نكون على علم بذلك، لكن من حُسن الحظ أنّ هناك أنواعاً عديدة من المناديل الورقية. إنّ زيارة أي متجر دورياً؛ تجعلنا نفهم أن استخدام المناديل الورقية المرافقة للطعام قد مرت بتغيرات عديدة، تغيرات في الأحجام والألوان، ناهيك عن التقسيم الطبقي في المناديل الورقية؛ حيث توجد مناديل ورقية أحاديّة الطبقة، بسيطة، مصقولة بالشمع، مطويّة بشكل مُتعرّج، تُقدَّم لنا يوم الأحد مع الطعام، عندما يكون لدينا قدرة أكبر على الدفع والشراء، وفي الطرف الآخر توجد المناديل ذات الطبقات الثلاث أو أكثر، وهذه المناديل لديها رفاهية امتصاص الرطوبة من العصائر والصلصات، ولقد وُلِدت هذه المناديل مع ثورة استبدال منديل القطن الأبيض التقليدي. بين المنديلين الطبقيين السابقين، كما يحدث عادةً في كل شيء، هناك مساحة للطبقة الوسطى، منديل تقليدي خفيف من طبقتين، يرافق الساندويتش أو الكرواسون، ويتميز قبل كل شيء بجودة فريدة وخاصة: يمكنك الكتابة عليه بقلم.

على هذا النوع من المناديل، الذي يوجد دائماً عند غياب الورق، تمّ تحديد الصيغ الرياضية التي غيّرت مجرى العلم، ورُسِمت اسكتشات

لتصميم الديناميكا الهوائيّة للسّيارة الجديدة، وكتبت الأشعار التي وصفت بأنها الأكثر جموحاً، كما رسم عليها تكتيكات كرة القدم مثل تكتيك 4-4-2. يذكر أن سلفادور دالي دفع ثمن عشاء المطعم عن طريق خَتم توقيعه على منديل ورقي، واستغل الرسّام كزافييه كوجات ذلك ليصنع رسماً كاريكاتورياً على المناديل، على الرغم من أنّه لم يوفَّق دائماً.

بعيداً عن الطبقات الاجتماعية، تشترك جميع المناديل في المصير: ينتهي بها الأمر في سلّة المهملات. لا يتوقع أحد أن تستمر المناديل المستعملة أكثر من يوم واحد، ولا أن تخدم أكثر من مرّة. إن حياة المنديل الورقي لا تدوم؛ لهذا السبب عندما تتجاوز القطعة تاريخ انتهاء صلاحيتها وتدخل في التاريخ، وغالباً ما يتمّ تأطيرها على أنّها تذكار. في هذه المرحلة، من المحتمل جدّاً أن يكون أكثر المناديل شُهرة في العالم، هو المنديل الذي سهّل عقد ليو ميسي الأول وربطه إلى الأبد- دق على الخشب- بتاريخ نادي إف. سي. برشلونة.

دعونا أوّلاً نعطي الإحداثيات: تمّ توقيع منديل العقد ظُهر يوم 14 كانون أول / ديسمبر 2000، عندما كان ميسي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، ولم يوقِّع بيده؛ لأنّه كان لا يزال يُفوّض جميع شؤونه لممثل أرجنتيني يُدعى هوراشيو جاجيولي. تمّ التوقيع في بار نادي بومبيا للتنس، عند سفح مونتجويك، ومن حُسن الحظ أنّ شخصاً ما، في مرحلة ما، قرّر أنّ مناديل البار يجب أن تكون من الطبقة المتوسطة. إلى جانب جاجيولي كان جوزيب م. مينجويلا، وهو أيضاً ممثل عن اللاعب، وكارليس ريكساتش، السكرتير الفني لبرشلونة.

قبل أسابيع قليلة، كان ميسي قد اجتاز اختباراً في جلسة تدريب

برشلونة. في مقاطع الفيديو في ذلك الوقت، كما قلت، يمكنكَ أنْ ترى: أنّ ذلك الصّبي البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً لم يرتفع شبراً واحداً عن الأرض، لكنّه ركض، وراوغ، وركل بخفة تجعلك تفرك عينيك. وعلى الرغم من أنّ التقارير الواردة من روزاريو قالت إنّ ميسي كان ظاهرة محتملة، فإنّ ريكساتش، بنباهته التي يضرب بها المثل، قد بدد عدة أسابيع حتى رآه؛ فقد كان يعتني فقط بالأولاد الأكبر سناً. ذات يوم، عندما كان والد ميسي وابنه على وشك أن يفقدوا صبرهم، ويحزموا حقائبهم للعودة إلى الأرجنتين، أرسل ريكساتش ذلك الصبي للتدريب، ووضعه في فريق من الشباب الذين يكبرونه بعامين، واستغرق الأمر خمس دقائق؛ ليدرك: أنّ ليونيل هو الماس الخام. إذ ذاك نصح بشدّة بتوقيع العقد معه، لكنّ المديرين في ذلك الوقت – جوان جاسبارت، وأنتون باريرا وشركاه– كانوا متردّدِين في توظيف طفل جاء من الأرجنتين؛ لأنّ هذا يعني: دفع تكاليف إقامته، وإيجاد وظيفة لوالده، وحتى دفْع أجر علاج النمو الهرموني(وهو بالضبط ما لم ترغب الأندية الأرجنتينية في دفعه له).

ومرّت الأيام، ونفد صبر عائلة ميسي في الأرجنتين، ثم في صباح أحد الأيام، التقى جاجيولي مع مينجويلا وريكساتش في نادي التّنس، وأعطاهما إنذاراً نهائياً: الآن أو أبداً. الآن هنا؟ سأل ريكساتش، ثم مالبثوا أن اختاروا منديل الورق ذا الطبقة الوسطى، ووقعوا العقد الأشهر عليه.

ودون أن يعرف ريكساتش ذلك، كان يبدأ مسيرة مهنية غير عاديّة، وبطريقة ما كانت تتوافق هذه الصفقة الرديئة مع الطابع الفريد والغريب الذي لعب به ميسي.

بدون كاتب عدل في المُقدّمة، وبدون صياغة العقود المملة، تُقرأ الوثيقة على النحو التالي:

«في برشلونة، في 14 كانون أول / ديسمبر 2000، بحضور السادة مينجويلا وهوراسيو كارليس ريكساتش، السكرتير الفني لـ F.C.B. يتعهّد على مسؤوليته الخاصة، وعلى الرغم من بعض الآراء التي تُشير إلى عكس ذلك، بالتعاقد مع اللاعب ليونيل ميسي طالما أننا نحافظ على المبالغ المتفق عليها».

وفي الأسفل وضعت التواقيع الثلاثة. يمكن لغياب الفاصلة المنقوطة في النص، بالإضافة إلى حذف الاسم الأخير للسيد جاجيولي، أن يجعلنا نفهم أنه كان بالفعل اتفاقاً في أقصى الحدود، ولم يكن هناك وقت نُضيّعه. لكنّ ريكساتش، وهو ثعلب عجوز، قال: إن الاتفاق تمّ «رغم بعض الآراء المخالفة» و «طالما أنّنا نحافظ على المبالغ المتفق عليها».

الباقي معروف بالفعل. كان هذا الدور هو السلوك الآمن لميسي للعودة إلى برشلونة في شباط، فبراير 2001، وشيئاً فشيئاً، ليس بدون ألم أو عمل، تكيّف، وبدأ يُبهر كلّ واحد من اللاعبين والمدرِّبين الذين معه، لعب، وتقاسم وقته من خلال الفئات الدنيا في النادي.

في مرحلة ما، عندما كان من الواضح بالفعل: أن ميسي سيكون أفضل لاعب كرة قدم في عصره. كان هوراسيو جاجيولي قد وضع منديلاً ورقيّاً في إطار، ثم احتفظ به في صندوق ودائع في أحد البنوك في برشلونة. من وقت إلى آخر، تُظهر الأخبار: أنّ متحف ديل بارسا سيعرض المنديل الشهير. لكنّ هوراسيو جاجيولي، وهو أيضاً رجل، أفكاره يجب أن توضع في المتحف، يقول: إنّه يجب التفاوض على هذا الأمر، قد يكون من الضروري أيضاً إبرام عقد آخر يُحدّد شروط نقل المنديل الورقي.

الصفات الصفات...

هدفان من أهداف الموسم: أحدهما بالرجل اليسرى، وهو الأفضل، والآخر باليمنى، وهو جيد أيضاً. هدف انتهازي، وهدف آخر بعد أداء تلك المسرحية التي رأيناها مرات عديدة، حيث يسحب فيها الخصوم من اليمين إلى المركز، وهدف آخر وضعه بهدوء من النقطة البعيدة في الملعب. رائع، غير عادي، ولا يمكن التنبؤ به، عظيم، وفريد، وإلى مالا نهاية له من صفات.

كانت تلك الليلة التي سجل فيها ميسي خمسة أهداف، في ملعب كامب نو، ضد باير ليفركوزن في (7 آذار، مارس 2012). كانت النتيجة النهائية 7–1، مع هدفين آخرين من تيو، لكن ما تبقى قبل كل شيء، كان في قبضة ميسي، وكان يعني تحقيق رقم قياسي جديد في مباراة دوري أبطال أوروبا، وفي اليوم التالي قال أكثر من صحفي: إن الأرجنتيني النجم استنفد كل الصفات المميزة.

لم تكن هذه هي المرة الأولى، ولن تكون الأخيرة. لا أتذكر أي لاعب آخر أثار ردة فعل مماثلة، لم يقل أحد من قبل: إن بيليه أو مارادونا أو كرويف أو دي ستيفانو كانوا يهرعون إلى قاموس الصفات. قد يكون ذلك

علامة على عصرنا، حيث يجب تعريف كل شيء وتصنيفه. ولكن، يمكن أيضاً رؤية ذلك على أنه حجة أخرى لعدّ ميسي أفضل لاعب في التاريخ، لاعب كرة القدم الذي نفدت فيه الصفات.

المرة الأولى التي حدثت فيها هذه الظاهرة، كما أتذكر، كانت في آذار، مارس 2010، بعد فوز برشلونة في الدوري على ريال سرقسطة، في لا روماريدا. وفاز برشلونة بنتيجة 2-4، وسجّل ميسي - الذي كان حينها يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً- ثلاثية رائعة، وتسبب بركلة جزاء عند الدقيقة الأخيرة، وبدلاً من تسديدها ترك الأمر لإبراهيموفيتش، الذي أضاع ثلاث فرص سابقة واضحة للغاية، وبهدفه الممنوح من قبل ميسي وضع إبراهيموفيتش ضماداً لجرحه النازف باستنزاف الفرص المهدورة. إذن، كان من الممكن أن يضيف شخص ما صفة أخرى للأرجنتيني، إنها: الشهامة والكرم.

في المؤتمر الصحفي بعد المباراة، قال بيب غوارديولا: «بالفعل لا يمكنك وضع صفات لميسي، ليس لدي المزيد، لقد نفدت». بمرور الوقت، أصبح هذا المصدر الصحفي - للقول بعدم وجود كلمات تكفي لوصفه- وسيلة أخرى للإشادة بأداء ميسي الرائع. بالطبع، لا يوجد نقص في الصفات داخل القاموس، فالصفات لا تُفقد أبداً، إلّا إذا كان هناك صحفيون فقيرو المفردات. في الواقع، ما يفعله ميسي هو عكس ذلك تماماً؛ فهو يخلق اللغة، وينشطها، ويوقظ فينا حس اللغة والإبداع والارتباطات الأقل وضوحاً كالشعر. نحتاج أن نصف بالكلمات ما نراه، إذا أردنا أن نرتقي إلى مستوى أدائه؛ فهو لا يجعلنا نبحث فقط في ذاكرتنا - أو في قاموس المرادفات- عن الثناء الفائق، ولكنه يجبرنا على

أن نكون أكثر ذكاءً حتى لا نكرر أنفسنا. في هذا، على سبيل المثال، تتمتع الصحف الأرجنتينية بخبرة كبيرة. بعد مباراة 7–1 ضد باير ليفركوزن، حملت صحيفة «أوليه» الرياضية عنوان «بيكاسو»، وفي العنوان الفرعي «فنان كرة القدم». في هندوراس، صحيفة «ديّث» ألمحت إلى أن الأهداف الخمسة كانت: «سيمفونية ميسي الخامسة»، أما في كتالونيا فإن صحيفة «إل 9 اسبورتيو» أوجزت باختصار: «......». هل لاحظتم ذلك؟ لا يوجد كلام يقال، ولكن هذا بحد ذاته كلام.

الكاتب ماريوس سيرا خصّص مقالتين في صحيفة «لا بانغوارديا» لهذه القضية، وإذا ما كان هناك شخص يعاني من حالة عدم وجود أفكار وافتقار للكلمات، فيمكنه أن يستخدمها. وضع سيرا قائمة تتضمن خمسمئة وأربعاً وثمانين صفة باللغة الإسبانية، صفات مُتدرجة، من السيئة حتى الجيدة. كاتب آخر، مارك باستور، وضع مقالة في صفحة الويب «فوت لي بو» وأضاف صفةً جديدة للأجيال اللاحقة: «المسيّة».

المسيّ/ ة (القرن الواحد والعشرون؛ تأتي من الكنية ميسي، متعلقة باللاعب ليونيل ميسي) صفة، من يتميز بكرة القدم، ويُظهر درجة عالية من التقنية والمثابرة والجودة والقوة في المباراة أو إحراز الأهداف. صفة تُستخدم للتعبير عن المباريات الإقصائية أو النهائية التي شوهد فيها أداء خرافي لليو ميسي. أمثلة: «خسر سانتوس في نهائي كأس العالم للأندية أمام برشلونة المسيّة». «عدم الهزيمة في فريق برشلونة صفة مسيّة». «من هو هداف الدوري؟ المسيّ لويس سواريز».

في نيسان، أبريل 2010، بعد شهر من موقعة روماريدا، عندما كان

أداؤه لا يزال يدغدغنا، سجل ميسي أربعة أهداف ضد آرسنال في كامب نو (4-1)، وهي النتيجة التي انتقلت ببرشلونة إلى الدور نصف النهائي من الأبطال. في نهاية المباراة، قال أرسين فينجر: إن ميسي كان «لاعب بلايستيشن»، وهو نوع من تحديث الثناء الذي كرسه خورخي فالدانو منذ سنوات لروماريو، واصفاً إياه بأنه لاعب «كارتون». في كلتا الحالتين، حاولوا أن يشرحوا: أن أداءه يتحدى المنطق، وأن أداءه كان نموذجياً للخيال أكثر منه للواقع.

منذ وقت ليس ببعيد، شاهدت مرة أخرى -كما لو كنت ناقداً سينمائياً- ملخصاً طويلاً عن المباراة ضد أرسنال في كامب نو، كان الملخص باللغة الإنكليزية، وعندما سجل ميسي الهدف الثالث، لم يبخل المعلقون بالصفات: متألق، وجريء، وساحر. في الواقع، غالباً ما أحب مشاهدة المباريات التي تُذاع باللغة الإنكليزية؛ لأن لدي انطباعاً: أن الصحفيين يعرفون بشكل أفضل كيفية سرد الأعمال العظيمة. لديهم تقليد رائع، ولكن لديهم أيضاً غريزة وصفية غير عادية. كنت أتابع مباراة الدوري الأخيرة عام 2016، التي كانت ضد فريق «إسبانيول» على إحدى القنوات الرياضية الأمريكية «بي إن سبورت». كان المعلق معجزة الثرثرة، راي هدسون، لاعب نيوكاسل يونايتد السابق، على وجه الدقة. قبل هجمة ميسي، الذي توجها بهدف دقيق وهش في آن واحد، أطلق المعلق صرخة منتشية قائلاً: «لا يمكن إيقافه! إنه هاري هوديني وديفيد بلين! المحطة القادمة ستكون في لا فيغاس! إنه الأفضل على الكوكب، عبقري».

كريستيانو رونالدو

ميسي وكريستيانو...! حامل الرقم 10 وحامل الرقم 7، يُنطق الاسمان معاً وتلقائياً، كما يتذكر شخص ما موزارت وساليري، والعميل رقم 007 ضد الدكتور «نو»، وكوكا كولا والبيبسي، والبيتلز ورولينج ستونز. هناك طرق عديدة لتعريف التنافس بين هذين اللاعبين الاستثنائيين، ربما، علينا أن نبدأ من الأرقام.

في موسم 2014-2015، الموسم الأول للويس إنريكي مدرباً، فاز برشلونة بالدوري برصيد أربع وتسعين نقطة، وسجل مئة وعشرة أهداف. وجاء ريال مدريد في المركز الثاني برصيد اثنتين وتسعين نقطة، وسجل مئة وثمانية عشر هدفاً. إنها أرقام من فئة الستراتوسفير، وعندما تقارنها بالدوريات الكبرى الأخرى في أوروبا، فإن الاختلافات تبدو بالغة السوء. دعنا نر: في ألمانيا، فاز بايرن ميونخ بالدوري الألماني برصيد تسع وسبعين نقطة وثمانين هدفاً. وفي إنكلترا، انتزع تشيلسي الدوري برصيد سبع وثمانين نقطة وثلاثة وسبعين هدفاً. وفي إيطاليا فاز يوفنتوس بالسكوديتو برصيد سبع وثمانين نقطة واثنين وسبعين هدفاً. أعلم أن هذه مجرد بيانات، وأن اللعبة شيء آخر، لكن ليس من الصعب إدراك أن هذا

التميز صنعه ليو ميسي وكريستيانو رونالدو. وحتى، بتحديداً أكبر: المنافسة الشخصية بين الاثنين هي التي صنعت هذا التميز. في ذلك الموسم، احتل كريستيانو المركز الأول في قائمة الهدافين برصيد ثمانية وأربعين هدفاً (عشر ركلات جزاء) وأحرز ميسي ثلاثة وأربعين هدفاً (خمس ركلات ترجيح). من دون الأهداف التي أحرزها كل واحد منهما، كان من الممكن أن يقدم برشلونة ومدريد أرقاماً عادية، كما الأندية الأخرى، ربما، حتى في الدوري الإسباني.

الإحصائيات هي بمثابة النثر الشعري الرسمي لكرة القدم، مملة ونزيهة، لكنها في الغالب تكشف كل شيء. سامحوني؛ لأني سأعرض عليكم المزيد من موسم 2014-2015. كان برشلونة هو الفريق الذي حقق أكبر عدد من التمريرات خلال البطولة (برصيد اثنين وعشرين ألف تمريرة ومئة وأربع عشرة تمريرة) والثاني، ريال مدريد (سبعة عشر ألف تمريرة وستمئة وأربع وثمانين تمريرة). كان ميسي ثالث أفضل ممرر في ذلك الموسم، بعد روبرتو تراشوراس وتوني كروس فقط، وقد وضع ثمانية عشر هدفاً.

لا شك إذن في أن القتال بين ميسي وكريستيانو حُدد في السنوات القليلة الماضية من الدوري الإسباني، وعلى وجه الخصوص التنافس بين برشلونة وريال مدريد. بين عامي 2010 و 2013، بينما كان جوزيه مورينيو مدرباً للفريق الأبيض، بأسلوبه الوقح والمتحدي، امتدت المبارزة إلى مقاعد البدلاء طوال هذين الموسمين مع بيب غوارديولا وتيتو فيلانوفا، ثم مع فيلانوفا فقط. تحمل ذكرى تلك السنوات ضمنياً حدة، وتوتراً كان مزعجاً، ومصنوعاً من الاتهامات والإيماءات غير الرياضية - إصبع

مورينيو في عين تيتو، والغريزة المتعطشة للدماء التي دخل بها بيبي دائماً للعب ضد برشلونة- ولكن أيضاً، لقد حقق ذلك امتيازاً للعبة كرة القدم إلى أقصى حد، فقد دُفعت فاتورة هذه العداوة بأثمان عالية وباهرة، وإن جئتم إلى الحق، فهذه هي الطريقة الوحيدة لشرح البطولات ذات النقاط المئة، وهي الطريقة الوحيدة لشرح حقيقة أن ميسي حقق في عام واحد خمسين هدفاً، يا إلهي!! خمسون هدفاً!! ها أنذا أكرر ذلك؛ لأنه رقم غير طبيعي.

من وجهة نظر مشجع برشلوني، كنا نحن الأخيار وهم الأشرار. علاوة على ذلك، غوارديولا وتيتو فيلانوفا يقدمان نماذج من اللطف والذوق الرفيع للدفاع عن المُثل الكروية، التي بدت- أسبوعاً بعد أسبوع- أنها أزعجت مورينيو أكثر. وفي حين لم يناقش غوارديولا قرارات التحكيم، بدا أن مورينيو استخدمها وانتقدها لتبرير الهزائم، خاصة ضد فريق برشلونة. في الهزائم كان الخطأ دائماً من الآخرين، أما في الانتصارات فقد كانت دائماً من صنعه. لا يمكن لكاتب السيناريو في هوليوود رسم صورة أفضل عن طاغية مغرٍ كما هو حال مورينيو. كانت حجة مشجعي ريال مدريد للدفاع عن هذا الموقف، هي: أن الحياة مليئة بالملح والفلفل، وأن الأشرار دائماً ما يكونون أكثر إثارة من الأبطال، وأن الفتيات الصغيرات - كما اعتاد ماي ويست أن يقول- يذهبن إلى الجنة، والفتيات السيئات يذهبن إلى كل مكان. لقد أحبوا دور الأبطال، فقد منحهم فخراً، أنهم يربحون دائماً، وفي نفس الوقت وضعهم في حالة الغضب الدائم وعدم استيعاب أنهم فريق يهزم؛ لذا لديهم حس عال بالاضطهاد من هذا العالم الظالم. لم يدركوا أنهم فجأة، من يوم إلى آخر، أصبحوا ضحايا أنفسهم، وتم تحديد

شخصيتهم بالمقارنة مع المنافس. إن الصحف الرياضية بقدرتها على تلخيص الحالة المعنوية لريال مدريد، أطلقوا عليها اسم بارسالونيتيس (أو هوس مرضي بفريق برشلونة بسبب الخسائر المتكررة)!

عندما أتذكر ذلك الوقت، أدرك تفصيلين مهمين. الأول هو: أن كريستيانو رونالدو تحسن بلا شك تحت قيادة مورينيو، الذي جعله نموذجاً له، على أنه الفائز، لكنه معه أيضاً نما سخطه وغروره الشخصي وافتقاره إلى الشعور بالسخرية. والتفصيل الثاني هو: أن كريستيانو وصل إلى ريال مدريد علاجاً لميسي.

غالباً، يكون الميل إلى المقارنة بينهما حاجة إلى تشجيع المبارزة على نفس المستوى، لكن الحقيقة هي أن ليو ميسي - الذي يقل عمره عن البرتغالي بسنتين ونصف السنة- لمع نجمه بالفعل قبل ذلك، بما معناه: أن ميسي كان سيظل ميسي بدون كريستيانو، وكان سيسجل أهدافاً، ويحطم الأرقام القياسية، ويفوز بالكرة الذهبية. لكن كريستيانو، من ناحية أخرى، هو كريستيانو المتحفِز بفضل ميسي. وهذا هو الاختلاف الكبير.

يتعلق جزء مهم من هذا التنافس الشخصي بالأرقام القياسية والجوائز الفردية، مثل جائزة الكرة الذهبية. في كانون أول، ديسمبر من العام 2019، منح الصحفيون من جميع أنحاء العالم، من خلال «فرانس فوتبول» الكرة السابعة لـ«ميسي»، وهو رقم قياسي يبدو مستحيلاً. وبذلك كسر التعادل التاريخي مع كريستيانو رونالدو. في الوقت الحالي، بعمر الخامسة والثلاثين عاماً يلعب كريستيانو بشكل أدق وأقل انفجاراً، يصعب على البرتغالي الفوز أكثر من ذلك. يسمح انتقاله إلى يوفنتوس تورينو في صيف 2018 للعب في بطولة دوري عالية المستوى مثل البطولة الإيطالية، ولكن

أقل بدنية وأبطأ، مما يعزز تحوله باعتباره هداف صندوق العمليات (منطقة الدفاع)، ومما يجعله أكثر ثباتاً وأكثر تركيزاً على الذات. كما أنه سيستفيد من البريق الذي يحيط بنادي مثل نادي «السيدة العجوز»، ومن التقاليد الرفيعة في المجتمع الإيطالي - العطور، والأزياء، والجمال- وفي الواقع إن أحد الجوانب الجذابة هي: رؤية رونالدو كيف سيدير السنوات الأخيرة في حياته المهنية، بما في ذلك التقاعد.

يمكن اعتبار العودة، في صيف عام 2021، إلى مانشستر يونايتد - النادي الذي وضعه في خط المواجهة- محاولة يائسة لتجديد تلك النجاحات الأولى واستعادة دفئها، لكن الوقت لا يمر سدى. هل سيقبل اللعب بديلاً، على سبيل المثال، في فريق مليء بالنجوم الشباب؟ هل سيكون «غلوريا سوانسون» ملاعب كرة القدم، ينتظر دائماً في المقدمة، محرجاً من التجاعيد، وغيوراً من نجاحات الآخرين؟

لا جدال حول صفات كريستيانو رونالدو الاستثنائية بما هو لاعب كرة قدم: قوته، وانتهازيته، وتفانيه، ومثابرته، وقيادته. ولو جاء في حقبة أخرى لكانوا سيضعونه في قمة كل شيء سنوات، أما مع ميسي فهو لا يزال في القمة، ولكن حتماً خطوتين أو ثلاث خطوات أدنى منه. وها هو الآن ينتظر؛ ليرى كيف يمكن للاعبين الجدد - نيمار، ومبابي، ودي بروين، وصلاح، وهافرتز، ودي يونغ، وهالاند وبيدري، وأنسو فاتي- أخيراً استبدالهم في القتال من أجل الكرة الذهبية.

شيء آخر، هو الصورة التي ستُترك في ذاكرة كرة القدم عن كريستيانو. كانت أهداف كريستيانو -في معظم الحالات- هي أشبه بإقامة معارض فردية وصور سيلفي للذاكرة الشخصية. لقد رأيناه جميعاً يغضب؛ لأنهم لم

يمرروا له الكرة، أو يشتكي من عدم التزام زملائه بالفريق بعد الخسارة، أو يحتفل بأهدافه كما لو كانت كرة القدم رياضة فردية، أو- وهو الأسوأ من ذلك- عندما يلعب كما لو أن كرة القدم لعبة بقاء بالنسبة إليه. لقد أكدت شخصيته نفسها هذا النوع من التحدي الفردي: العضلات، والصراخ الهستيري، والبكاء العصبي.

في برشلونة، من ناحية أخرى، كان ميسي دائماً هو حجر الدومينو في اللعب الجماعي، كتلة مخيفة من اللاعبين تحيط بميسي، وكثيراً ما يظهر في الصور بجانب المهاجمين الآخرين، سواء كان رونالدينيو أم هنري أم نيمار أم سواريز.

لكل هذه الأسباب، وعلى الرغم من أنني لا أحب النبوءات، وتحديداً في عالم كرة القدم، فإليك الأمر ببساطة: عندما يتقاعد كريستيانو رونالدو، سيستمر ميسي في إعادة اكتشاف نفسه وتسجيل الأهداف عدة سنوات أخرى.

تضحية

يُعظِّم مرور الوقت من بريق الأساطير، ويمنحها هالةً من الغموض. وشيئاً فشيئاً تُخلط الحقائق بالخيالات، وفي النهاية سنجد أن نصف لاعبي برشلونة ذهبوا إلى حفلة البيتلز في مونومينتال، في عام 1965، أو أن حكايات أخرى ستتحدث عن الاحتفاظ بأقدامهم كآثار، وهذا هو جموح الأسطورة الذي يصنعه دائماً المخيال الشعبي. إذا كانت أسطورة ميسي اليوم كوكبية بالفعل، وإذا كانت شخصيته تبدو خارقة بالنسبة إلينا، فلا يمكننا حتى أن نتخيل ما سيحدث في غضون خمسين عاماً، عندما تُذكر مآثر أفضل لاعب في التاريخ؛ لأنه -حتى ذلك الحين- من غير المحتمل جداً أن يخرج لاعب آخر بمثل تحفاته الفنيّة. لذا لن أتفاجأ، إذا انتهى الأمر بأي شخص إلى أن يدعي: أن ميسي كان في الأساس إله الأزتك، أو إله المايا، أو على أي حال إله ما قبل كولومبوس، وأنه في كل عام كان يطلب تضحية لمواصلة اللعب مع برشلونة.

لا أعرف ما إذا كانت الصورة التي تدور في رأسي تأتي من تلك المغامرة تان تان المسماة معبد الشمس، أو من قراءات رسائل هيرنان كورتيس، أو حتّى من فيلم ميل غيبسون أبو كاليبتو. الطريقة التي أرى بها

أسطورة ميسي القادمة، أنها موت مجازي، بالطبع، مثل أضحية تُقدم لإله كرة القدم المستديرة، كي يرضى علينا وهو في عرشه، وكما قال خوان فيلورو، مع مرور السنين تتسع قائمة الضحايا بشكل مثير للرّيبة.

في صيف عام 2008، عندما تمت ترقية بيب غوارديولا؛ ليصبح مدرباً للفريق الأول في نادي برشلونة، وليحل محل فرانك ريكارد، قرر: أن اثنين من نجوم الفريق، رونالدينيو وديكو، كان عليهما تغيير المشهد. كان لدى إيتو كل الأرقام ليتبع نفس المصير، لكنه استمر موسماً واحداً. في ذلك الموسم، حصل برشلونة على الثلاثية، وسجل إيتو ستة وثلاثين هدفاً، وهو رقم مهم، حتى إنه سجل في نهائي دوري أبطال أوروبا في روما، وفاز ضد مانشستر يونايتد (2-0). ومع ذلك، في الصيف التالي، أجبره النادي على الانتقال إلى إنتر ميلان. واحتل إبراهيموفيتش مكانه في المقدمة.

إذن: كان إيتو أول مهاجم يفقد امتياز اللعب إلى جانب ميسي. خلال الأشهر التالية، أصبح من الواضح أن خيار وضع برج مثل إبرا - وقبل كل شيء بهذه الشخصية القوية- بجانب البرغوث لم ينجح، وفي الصيف دعوه للذهاب على سبيل الإعارة إلى إيه. سي. ميلان، ولم يعد بعد ذلك. هذا الفشل، أثر فقط على غوارديولا، الذي أصبح يسمى في عالم الكرة «الفيلسوف». بعد سنوات، في مقابلة، طُلب من إبراهيموفيتش اختيار أفضل أحد عشر لاعباً على الإطلاق، فوقف هو نفسه بجوار ميسي، وقال ضاحكاً: «ميسي عبقري، وأنا إله».

وفي عام 2010، مهاجم آخر غادر أيضاً، إنه تييري هنري، برقصاته المُشابهة للراقص للشهير نيجنسكي وأسلوبه الذهبي، السريع والخفيف، وبالفعل نجح في التغلب على ميسي، لكن في سنّه لم يعد قادراً على

مواكبة وتيرة المنافسة الأوروبية، وذهب إلى الولايات المتحدة. منذ ذلك الحين فصاعداً، يجب أن يُنظر إلى كل مرحلة ما قبل الموسم، على أنها وقت تضحية لإله ما قبل كولومبوس الذي يرتدي الرقم 10. ثم جاء بويان كركيتش (2011)، وديفيد فيا (2013)، وأليكسيس سانشيز (2014)، وبيدرو (2015)، ومنير الحدادي (2016)، وألكاسير (2018)، ومالكوم (2019). في القائمة يمكننا إضافة بعض اللاعبين الثانويين الذين جاءوا وذهبوا، أسماء مثل جيفرين، وأفيلاي، وكوينكا، وتيلو، وساندرو، وديولوفو، أو كارليس بيريز، لاعبين شباب، غالباً، غادروا على سبيل الإعارة بضعة أشهر، ثم عادوا؛ ليغادروا مرة أخرى، كما لو كانت مهمتهم إرضاء رغبة ميسي الطقوسية.

إذن، ما هو السبب في زيادة قائمة المهاجمين الذين يغادرون كل عام؟ هل من الصعب اللعب بجانب ميسي؟ أم أن القائمة متطلبة للغاية؟ أود أن أقول، إن الأمر عكس ذلك تماماً: ميسي يجعل الأمر سهلاً، ويقدم الكثير، ويساعد، لكنه يطلب أيضاً دوراً رائداً، لا يعرف الجميع كيف يلعبه، ولا كيف يفهمه. بالتأكيد سيكون هناك عامل فهم شخصي، لكن سيكون من الخطأ الاعتقاد، بأن ميسي يفهم نفسه فقط، ويلعب بشكل جيد مع أصدقائه. بل العكس هو الصحيح: الانتماء في هذا المجال، كما كان الحال سنوات عديدة مع داني ألفيش، ومؤخراً مع جوردي ألبا، يمكن أن يجعلنا نعتقد أنه يتسع إلى صداقة، تقريباً كشكل من أشكال الامتنان، ولكن الحقيقة، هي: أن حياة اللاعبين الخاصة غالباً ما تكون أبسط بكثير من الألغاز التي يلفقها خيال المعجبين.

في مقالة في «إل بيريوديكو»، إميليو بيريز دي روزاس، ذكر أنه عندما

وصل التشيلي، أليكسيس سانشيز، إلى برشلونة في آب، أغسطس 2011، شكر أندوني زوبيزاريتا، المدير الفني للنادي آنذاك، على نقله «إلى الفريق الوحيد الذي يمكنني أن أحصل فيه على البالون دور والحذاء الذهبي»، هذا ما قاله أليكسيس حين كان يبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً، أصغر من ميسي بسنة واحدة، ولقد برع اللاعب في إيطاليا وفي كأس العالم في جنوب إفريقيا، لكنه لم يفز بأي شيء حتى الآن. أخبره زوبي، وأفترض أنه استخدم معه نبرةً هادئة وحكيمة: «انظر، أليكسيس، طالما أن الطفل الصغير لا يزال هنا، سيكون من الصعب عليك أن تحصل على الكرة الذهبية أو حتى أن تترشح إليها». استمر أليكسيس مدة ثلاثة مواسم، ثم ذهب إلى إنكلترا بحثاً عن المزيد من الأهداف والمزيد من الحضور، ومن هناك انتقل إلى إنتر ميلان، لكنه لم يفز بالكرة الذهبية بعد، ولن يفوز بها أبداً.

تستحق الذكر حالتان؛ غيّرتا كيمياء المهاجم مع ميسي، قد لا تتوافقان مع قواعد التضحية: نيمار في موسم 2017، ولويس سواريز في صيف 2020.

في حالة نيمار، كانت أكثر من تضحية، كانت تضحية شخصية. حتى في كتب الكوميك، أو في أفلام الرعب لجييرمو ديل تورو، سيكون من الصعب تخيل، أن خروج نيمار كان مُقدراً لإرضاء رغبة ميسي. على العكس من ذلك: عزّز البرازيلي، على مدى أربعة مواسم، مع الأرجنتيني والأوروغواياني، ثلاثياً غير عادي، تميّز بالمتعة والفعالية. بدلاً من ذلك، يبدو أن نيمار قد تعلم درسه، وأراد أن يصبح إلهاً آخر لأولئك الذين

يطالبون بالتضحيات، لكن هذه المرة من عرشه (الرقم 10) في باريس سان جيرمان.

كان وداع لويس سواريز مختلفاً تماماً، ويمكن اعتباره تضحية غير مرغوب فيها؛ لأنه على مدى ستة مواسم، أصبح أقرب حليف لميسي، شركة عامة محدودة تقريباً أسفرت عن أهداف لا نهاية لها، ومساعدة بين الاثنين. لكن، بعد الهزيمة التي كانت على وشك تغيير كل شيء، في دوري أبطال أوروبا أمام بايرن ميونيخ، كان سواريز أحد هؤلاء الذين تم اختيارهم، وقرر النادي نقله. بعد أيام قليلة بدا أن نوايا ميسي بمغادرة برشلونة، كانت رد فعل على رحيل صديقه، لكن في النهاية لم يكن كذلك. كان سواريز سيبقى بسرور، لكن النادي أجبره على المغادرة، بينما حدث العكس مع ميسي: أراد المغادرة، وأجبره عقده على البقاء؛ إذا لم يرغب في الذهاب إلى المحكمة لحل النزاع. في النهاية، يمكن القول، إن ميسي كان ضحية ذلك الموسم: البقاء بالقوة جعل منه ضحية لتضحيته. ولذلك كان الموقف قاسياً على مشجعي ميسي حيث أن النادي ضحى به في آب/ أغسطس 2022 من أجل تجاوز مصاعبه الاقتصادية.

قبل وبعد

دييجو أرماندو مارادونا، الذي تحرّك بشكل لا مثيل له بين الرياضة والترفيه وفنون العرض، كان قادراً على إجراء الإحماء قبل مباراة مُسليّة. في بعض الأحيان، عندما كان يقوم بتمارين الإحماء مع نابولي أو مع المنتخب الأرجنتيني، كانت عروضه الإحمائيّة بمثابة تصميمات رقص بين السّيرك والتمارين الرّياضية، وكانت هي الموضة الدّارجة في تلك الفترة. كان يتابع إيقاع أغنية وُضعت على أجهزة مُكبّرات الصوت في الملعب - بإمكانكم البحث عن الفيديو حيث تظهر أغنية «لايف إز لايف»- بينما كان يرقص والكُرة بين قدميه، ثم ما يلبث أن يُمرّر الكُرة بين قدميه والرأس والرقبة، وهو ينظر نحو المُدرّجات، وفي بعض المناسبات طلب من الجمهور متابعة التصفيق بأيديهم، بينما هو يتابع سيركه الإحمائي. لا أعرف ما إذا كان كل ذلك فعّالاً جسدياً قبل المباراة، لكنّه بالتأكيد جعل الناس يأتون إلى مُدرّجات الملعب في وقت أبكر.

عندما كنتُ أذهب إلى كامب نو لمشاهدة فريق برشلونة، كنتُ أحاول الوصول مبكّراً حتى لا يفوتني إحماء اللاعبين. إليكم فضائل أخرى لميسي وزملائه في هذا العصر الذهبي، بالإضافة إلى اللعبة، فأنا مُهتمّ

بكل ما يحدث حولها، قبلها وبعدها، كيف يختارون التمريرات، وكيف يمزحون فيما بينهم، وكيف يقومون بضبط أجسادهم. في فترة الإحماء، كما هو الحال في التّدريب، ترى أهدافاً رائعة ولو أنها جاءت خلال المباراة فستكون مختارات عظيمة، كما لو أنها أهداف الموسم، وياله من احتفال! كانت ستحظى به المُدرّجات بهذه الأهداف الساحرة.

علاوة على ذلك، يشبه ميسي بائعاً متجولاً، يعرض لك كتالوج المنتجات التي سيبيعها لك لاحقاً أثناء المباراة، لكن في بعض الأحيان يكون لديه أيضاً لحظات مذهلة. بعد ظُهر أحد الأيام في كامب نو، على سبيل المثال، رأيت كيف كرّس هو وألفيش نفسيهما لتمرير الكرة من مسافة ثلاثين أو أربعين متراً. أحدهما كان يلمس الزاوية والآخر بالقرب من خطّ الوسط، أحدهما ركل الكُرة والآخر أوقفها بصدره، وتحكّم بها، ولمسها مرتين أو ثلاث، وركلها مرّة أخرى، ثم استقبلها زميله وهو يحاول ألّا يلمس الأرض، وبدأ من جديد بركل الكُرة، ولقد استمرّ التبادل فترة طويلة، عشرتمريرات أو اثنتا عشرة تمريرة، وشيئاً فشيئاً أثار انتباهي المشجعون الذين كانوا بالفعل في الملعب، وهم يراقبون هذه المراوغات كما لو أنّهم منومون مغناطيسيّاً. لابدّ أن جاري في المقعد أحسّ بأنني جديد على مقاعد المدرجات، وبهدوء العارف، كونه عضواً قديماً، قال لي: «إن ما تراه، يفعلونه كل أسبوع».

يتم الاستفادة من كل شيء في اللعبة، وأعتقد أن البث التلفزيوني يجب أن يستغلّ هذا السّياق أكثر، وأن ينقل ما قبل المباراة وما بعدها أيضاً، بقدر ما تسمح به حدود العلاقة الحميمة، أعني: ليس من الضروري أن تدخل الكاميرات إلى غرفة خلع الملابس، لكن سيكون من الجيد الاستمتاع

بتلك الدقائق الأخيرة، بدلاً من الذهاب إلى الإعلانات بهذه السرعة. أُحبّ أن أرى ردود أفعال اللاعبين، متعرّقين، ومرهقين، ومنغمسين في أنفسهم، وسعداء أو حزينين، وعندما يهنّئون بعضهم بعضاً ويذهبون إلى غرفة خلع الملابس. أُحبّ أن أرى، على سبيل المثال، من يتبادلون القمصان، وملاحظة وجه الإعجاب للمنافسين الذين يقتربون من ميسي ويتبادلون معه الحديث بشغف. ألا نُحبّ أن نرى الحفل كلّه بعد خوض المباراة النهائية مع الفائزين والخاسرين بانتظار الكأس والاحتفال وكلّ شيء؟ حسناً، يمكن أيضاً فعل الشيء نفسه بعد كل مباراة، حتى إذا كان ذلك مدّة خمس دقائق فقط.

إن استراحة مدّتها خمس عشرة دقيقة في غرفة خلع الملابس تحتوي على الكثير من المعلومات حول اللعبة نفسها، فهي الحواشي، والذروة، والاعتمادات. إنها ما يسمّيه المنظّرون الأدبيّون نظريّاً: كلّ ما يكمل محتوى اللعبة الرئيسي، مثل: المؤتمر الصحفي للمُدرّب لاحقاً، وتصريحات اللاعبين.

بطريقة ما، أدّعي: أن جميع مشجّعي كُرة القدم يحبّون اختلاس النظر، ويرغبون في التجسس أكثر على حياة أصنامنا اللاعبين عند انتهاء اللعبة. عشر دقائق لا أكثر، مثل ذبابة على الحائط. الآن تغير هذا العالم كثيراً وأصبح أكثر احترافاً، لكنني أتذكر أنه قبل سنوات، عندما كنت صغيراً، قرّبتنا الصحافة الرياضية من اللاعبين. خلال فترة ما قبل الموسم، على سبيل المثال، كانت الصحف الرياضية تنشر خطّة العمل في المركز كل يوم - الذي كان دائماً في هولندا- أخبرونا: كيف تمّ تقسيم الغرف إلى أزواج، وما الذي يفعله اللاعبون في أوقات فراغهم، وما يأكلونه على العشاء (شخصياً طلبت من والدتي أن تُعدّ لي نفس الطعام).

صحيح أنّ المنصّات الاجتماعية في هذه الأيام، خاصّة الانستغرام والتويتر، تقوم بتلك الوظيفة الجزئية كنافذة مفتوحة، حيث يسمح لنا اللاعبون بالتجسّس على حياتهم فترة من الوقت، إلا أنّه يبدو أنّ كلّ شيء محسوب ويخضع لاعتبارات شخصية تخصّ اللاعبين وحدهم.

يُحفزّني الحديث عن حياة اللاعبين الخاصّة، ولقد بدأت هذا الحديث مع مارادونا، وسأنهيه عن مارادونا كذلك. ذات يوم في عام 1982، خلال موسمه الأول في برشلونة، تعادل الفريق على أرضه مع سبورتينغ خيخون (1-1). لقد استمعت إلى المباراة عبر الراديو، على الأرجح كنت أستمع إلى خواكيم ماريا بويال من راديو برشلونة، وكان من الواضح أن مارادونا والفريق بأكمله، قد لعبوا مباراة لم تكن على المستوى المطلوب. شعرت بالغضب من النقطة التي أفلتت منّا وخسرناها (ثم كان الفرق بين التعادل والنصر لا يزال نقطة واحدة، وليس نقطتين)، لكنني شعرت أيضاً بالأسف الشديد للاعب، وبكل براءة طفل من القرية، قرّرتُ الاتصال به ورفع معنوياته. اتصلت أوّلاً بقسم معلومات الهاتف، وسألت عن رقم دييغو أرماندو مارادونا...! لم تبدِ عاملة الهاتف أي مفاجأة، وطلبت مني الانتظار بضع ثوانٍ، وبعد ذلك، وبما لا يُصدَّق، أعطتني الرقم. كتبت رقم هاتفه على قطعة من الورق، ووقفت ساكناً وفي يدي الهاتف، حتى استجمعت ما يكفي من الشجاعة، ثم اتصلت به. على الطرف الآخر أجاب أحدهم على مكالمتي، وقد ذهب الحوار إلى شيء من هذا القبيل:

- نعم؟ قالت فتاة بلكنة أرجنتينية. كانت تبدو شابة، وظننت أنها صديقته كلوديا.

- مرحباً، هل دييغو هنا؟ «يا لثقتي المفرطة!».

- من المُتصل؟

- لا ...، صديق. حسناً، أكثر من مجرد صديق، أنا معجب، من مشجّعي برشلونة.

- حسناً، دييغو ليس هنا الآن. لم يصل بعد.

- حسناً، أخبريه أنني أشجّعه كثيراً، وأنّنا سنفوز بالدوري بالتأكيد؛ لأنّه الأفضل.

- أوه! شكراً لك. وأغلقت الهاتف.

اعتقدت فترة طويلة أن امتنانها كان صادقاً، وأنّه يجب أن يكون صحيحاً: أنّ «دييغو» لم يصل بعد، على الأرجح من كامب نو. على أي حال، لم أشك أبداً في أنني دخلت منزل عشيقة مارادونا في ليلة الأحد تلك عبر كابل الهاتف. لم أخبر أصدقائي في المدرسة الثانوية أبداً؛ لأنّهم لم يكونوا ليصدقوني.

ضربات الجزاء

هناك نادٍ مُختار -أو قد يكون مُجمّعاً سرّياً- يجمع كلّ حراس المرمى الذين أوقفوا ميسي في ركلة جزاء أو أخرى. أتخيّلهم يجتمعون مرّة في كلّ عام داخل فندق سرّي في بينيدورم، على سبيل المثال. يرحّبون بالأعضاء الجدد في النادي - في كل موسم يضيّع ميسي ركلة جزاء ويدخل حارس جديد إلى العضوية- ويتبادلون المعلومات حول مهارات الأرجنتيني الجديدة: إذا كان الآن يرمي الكرة أكثر إلى اليسار، أو يرميها بطريقة البارادينا، (وهي طريقة معينة في تسديد ركلات الجزاء حيث يتوقف اللاعب لثوان قليلة قبل التسديد لمراوغة الحارس. أول من قام بها النجم العالمي بيليه)، أو إذا كانت هناك بعض الكلمات السحرية لإرباكه قبل أن يرميها مباشرة، وغير ذلك.

يجب أن يكون رئيس نادي الأقليات هذا، بناءً على مزاياه، ابن غاليثيا (منطقة في إسبانيا) دييغو لوبيز، الحارس الوحيد الذي صدّ ركلتي جزاء لميسي، ودائماً ما يحدث ذلك في مباريات كأس الملك. واحدة عندما كان حارس مرمى فياريال، في كانون الثاني / يناير 2008، وبعد عشر سنوات عندما لعب مع إسبانيول، في كانون الثاني / يناير 2018.

أما نائب الرئيس فيجب أن يكون روبين، وهو حارس آخر يلعب في ديبورتيفو لاكورونيا، الذي حظي بفرصة أن يُخطئ ميسي مرتين أمامه: في إحدى المرّات أوقف تسديدته، وفي الثانية اخترقت تسديدة ميسي الغيوم، ولا أعلم بعدئذٍ إن عادت إلى الأرض.

صحيح أنّ ركلات الجزاء هي كعب أخيل ميسي، لكن لا داعي للقلق أيضاً؛ لأنّ هذا الضعف يستجيب لمنطق معيّن؛ فأرقامه أقل بقليل من أرقام الهدافين الآخرين، لكنها تُفاجئنا فقط؛ لأننا معتادون عليها بشدّة، ونتوقع بالتأكيد أن يُسجّلها في كل مرّة. حتى الآن (أيلول / سبتمبر 2020) نفّذ ميسي مئة وخمس عشرة ركلة جزاء في المباريات الرسمية، وفشل في ست وعشرين ركلة ، ما يعني: أنه فشل بواحدة من كل خمس ضربات جزاء. ويمكننا هنا أن نجرّب شرحاً جسدياً وآخر نفسياً أكثر إبداعاً لهامش الخطأ الكبير في تسديد ضربات الجزاء عند ميسي.

السبب الجسدي في منتهى الوضوح، ووفقاً لدراسة أجرتها «لا بانغوارديا»، فإن نصف حراس المرمى الذين صدّوا ركلة جزاء لـ ميسي يبلغُ طولهم متراً وتسعين سنتمتراً، أو أطول من ذلك. في الحقيقة: هم عمالقة، وعندما يمدّون أذرعهم ويطيرون، يغطون محيط المرمى بسهولة من عمود إلى آخر. ومع ذلك، فهو أيضاً خِداع بصريّ؛ لأنّ كلّ جالوت لديه ديفيد الخاص به. وفي النهاية غالباً ما يمرر ميسي الكُرة عبر أكثر الزوايا غير المتوقعة. بالإضافة إلى ذلك، إذا قمنا بمراجعة كافة ركلات الجزاء التي لم يُحرِز من خلالها هدفاً، فسوف نُدرك أنّه حتى أثناء فشله في تحقيق الهدف، فإنه يحاول تفادي هذا الفشل من خلال ما لديه من مهارة. قد يخطئ بالتسديد يميناً ويساراً، وقد يُرسل ركلة ضعيفة جداً أو

قوية أكثر من اللازم، وقد يستطيع الحراس تخمين مسار الكُرة، وأحياناً قد ينزلق في لحظة التّسديد، وكثيراً ما ضربت الكُرة العارضة، ولكن في ثلاث مناسبات كان ميسي نفسه يحصل على كُرة مرتدّة للحارس، وينتهي به الأمر إلى تسجيل هدف.

هناك تفسير عاطفي آخر، وهو منطقي تماماً: ميسي يُخطئ ركلات الترجيح؛ لأن تسجيلها سهل للغاية...! هذا كلّ شيء، لقد قلتها وانتهيت.

ليس من الصعب أن نتخيل: أن غياب التحدي الكبير، وانفراده وجهاً لوجه مع الحارس أمامه، وحتى الروتين الذي يُلزم بإحراز هدف من ركلة جزاء، يعمل ضدّ ميسي. عندما يسدد ميسي ركلة حرة مباشرة، فإن الحاجز موجود على الأقل، أما ضربة الجزاء فهي فرصة للتفكير، هناك خيارات كثيرة جداً، وبدائل كثيرة جداً لجهة ركل الكُرة. تلك الدقيقة الطويلة بين الحَكم الذي يشير إلى النقطة المناسبة للتّسديد، وبين ميسي الذي يضع الكُرة، ويواجه حارس المرمى، ويضطر إلى الركل، وهو الذي اعتاد على تقرير ما سيفعله في أعشار من الثانية، تقريباً عن طريق الحدس، لا بد أن ذلك يرهق ميسي بسبب الأفكار التي تدور في رأسه، ناهيك عن ضغط المسؤولية.

قبل سنوات، عندما عاد لِلّعب في الدوري الأرجنتيني، بعد مُغامرته الأوروبية، أهدر مارادونا خمس ركلات ترجيح على التوالي. يجب أن يكون هذا ضغطاً عالياً، لم يستطع مارادونا التعامل معه. من المعروف أنّ مُنفّذ ركلات الجزاء هو من يحمل حظوظ الفريق في التأهل والفوز، كما أنها طريقة سهلة لزيادة عدد الأهداف، إلا أن ميسي يمنح هذا الشرف لزملائه في الفريق من وقت لآخر، ومن دون الحاجة لركلات الحظ هذه،

فميسي هو الحظ، وتسديد الأهداف هو شكل من أشكال الإيثار يحرّره في نفس الوقت من تعقيدات الاختيار، وهو ينفرد وجهاً لوجه مع الحارس.

لقد رأينا ميسي يضيّع ركلات الجزاء أمام لويس سواريز ونيمار، وفي مناسبة سيّئة السُّمعة، أمام إبراهيموفيتش، في مباراة ضد سرقسطة، ومع ذلك فإنه حتى يومنا هذا، يجب أن تكون ركلة الجزاء الأكثر مرارة التي أهدرها ميسي - ركلة الجزاء المؤلمة- هي تلك التي سدّدها مع الأرجنتين في نهائي كأس كوبا أميركا، في حزيران، يونيو 2016، ضد تشيلي. انتهت المباراة والوقت الإضافي من دون أهداف، وكان مسؤولاً عن افتتاح ركلات الترجيح لفريقه، وقبل ثوانٍ قليلة، أهدر أرتورو فيدال الركلة الأولى لتشيلي، والآن أُتيحت له الفرصة لوضع الفوز على المسار الصحيح، لكن ميسي أرسل الكُرة إلى جبال فلوريدا، كما قال أحد المعلّقين، وانتهت ركلات الترجيح بحصول تشيلي على الكأس.

على الجانب الآخر، ميسي هو أحد اللاعبين القلائل الذين أضاعوا طواعية ركلة جزاء، فيما سيتمّ تسميته أحلى خطأ مُنفّذ لركلة جزاء من أحد عشر متراً. في 14 شباط، فبراير 2016، يوم عيد الحب، في مباراة ضد سيلتا فيغو، كان برشلونة متقدماً بنتيجة 3-1، تم تنفيذ ركلة الجزاء الشهيرة التي انتشرت حول العالم. ها أنذا أشاهدها مرة أخرى على يوتيوب، في لحظة قبل التسديد مباشرة، كان كلّ شيء هو نظرات بين ميسي وزملائه في الفريق، يقترب من الكُرة، وبدلاً من تسديدها بقوة، يلمسها جهة اليمين، تمريرة خجولة وغير متوقّعة، كان من المفترض أن يلتقطها نيمار، على ما يبدو، لكن سواريز انطلق بسرعة وهو من سجّل الهدف. مذيعون من نصف العالم يفركون أعينهم، يراقبون هذه المسرحية المتقنة، إنها ركلة

جزاء مجرّدة. يومها أطلق المُعلّق البريطاني المحبوب راي هدسون إحدى صيحاته المنتشية، وقال: «ما رأيناه هنا هو شكسبيري تماماً! لكن شكسبير كان مخطئاً؛ لم يكن الملك لير، بل كان الملك ليو!».

ميسي جيد جداً إلى درجة أنه من وقت إلى آخر يتمتع بميزة النظر إلى التقاليد وإعادة إنتاج المسرحيات الأسطورية من تاريخ كُرة القدم. في هذه الحالة، ما تردّد في ذاكرتنا بالطبع هو ركلة الجزاء التي اخترعها يوهان كرويف في كانون أول / ديسمبر 1982 في مباراة مع أياكس. في هذا الشكل الأصلي، قام كرويف بتمريرة إلى اليسار، أعاد أحد زملائه الكرة إليه، وانتهى به الأمر بنفسه إلى التسجيل. يجب أن يكون قرار ميسي تقديراً لكرويف، ففي اليوم السابق فقط، أكّد الهولندي على موقعه على الإنترنت: أنه يعاني من سرطان الرئة، وأنه يفوز بالمباراة ضدّ السرطان في الوقت الحالي. توفي كرويف بعد بضعة أسابيع، في 24 آذار / مارس، لكن من المؤكّد أن ركلة جزاء ميسي المهدورة بلطف أعطته مزيداً من الحياة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

القرن الواحد والعشرون

يشتركُ الأدب وكرةُ القدم في القليل من الأشياء، ولكن شيئاً واحداً يوحّدهما، إنه: المهمّة الصّعبة المُتمثّلة في التّنبؤ الصّحيح بالكُتّاب واللاعبين الذين سيشكّلون المستقبل. إلقاءُ نظرةٍ سريعة على مُختاراتٍ شعريّة لأصواتٍ جديدةٍ واعدة، أو مقالاتٍ اكتشَفت توّاً نابوكوف أو رودوريدا أو بولانيو، وعادةً ما يظهرُ بعد عشر سنوات أن الواقع قد دحضَ الكثير من الحماسة. يحدثُ الشّيء نفسه مع مُحلّلي كُرةِ القدم ومُراقبي المواهب، كلّ أسبوعٍ يكتشفون كرويف أو مارادونا جديداً، وأنا متأكدٌ من أنّ هناك آباءً للاعبين في فرق شباب برشلونة الحاليّة يعتقدون: أنّ ابنهم سيكون تشافي، أو بويول، أو فالديس الجديد. يجب أن أضيف أنّه، في الوقت الحالي على الأقل، لم أسمع عن أيّ شخصٍ أُعطي لقب «ميسي الجديد»، ربّما لأنه جيّد إلى درجةٍ أنّ من السّخف أن نقترح أنه يُمكن لأيّ شخصٍ أن يلعب مثله، وعلى أي حال يجب أن نتذكر دائماً ما قاله بيكاسو: «طوبى لمُقلّديّ، لأنهم سيرثون أخطائي».

نعلم أيضاً: أن مُعظم النُّقاد الأدبيين ومُحلّلي كُرة القدم قد صقلوا أعينهم من خلال الملاحظة النظرية، ونادراً ما برعوا جسدياً في الفن الذي

يدرسونه بمثل هذا الإخلاص. ومع ذلك، من وقت إلى آخر، هناك عقلٌ استثنائي، بناءً على التّجربة الشخصيّة، يجرؤ على التنبؤ بشيءٍ ما وفهمه بشكلٍ صحيح. أفكر، على سبيل المثال، في هيلينو هيريرا العظيم، أو كما يُقال السّاحر، الأسطورة المُتناقضة، عالم النفسِ في غُرفة تغيير الملابس، وصاحب الرّؤية لكُرة القدم الحديثة. في عام 1979، عندما كان مارادونا في التاسعة عشرة من عمره، وبدأ يتألق مع أرجنتينوس جونيورز، لكنه لم يفز بأيّ شيءٍ بعد، أجرى مقابلةً مع مجلة إلـ غرافيكو الرياضيّة، وسُئلَ عن كيف سيكون شكلُ لاعب كرة القدم في المستقبل، فأجاب: «لاعب القرن الحادي والعشرين سيكون مثل مارادونا كثيراً. قصيرٌ لكنه رياضيٌّ للغاية، مع السحر الذي تمتلكه الحداثة ومارادونا». ربّما لم يكن يعرف ذلك، لكنه كان يتكلّم عن ميسي.

بعد خمس سنوات، في عام 1984، قبل وفاته بفترةٍ وجيزة، كتب الكاتب إيتالو كالفينو سلسلة من المحاضرات التي كان يُخطّط لإلقائها في جامعة هارفارد، ونُشرت باللغة الإنكليزية تحت عنوان «المذكرات السّت للألفيّة القادمة». حدّد كالفينو خمسةَ مفاهيمٍ، يعتقد أنها ستُحدد الفنّ والأدب في القرن الحادي والعشرين، التي يجب أن يأخذها الفنانون والنقاد في الاعتبار: الخفّة، والسُّرعة، والدقّة، والوضوح، والتعدّدية. وأيضاً، كان يتحدّث بذلك عن ليو ميسي.

الخفّة

كالفينو يُدافع، ويُطالب الفنّانين بسلسلةٍ من الصّفات، التي يستغلها ميسي بمزيجٍ من الحدس والوعي والموهبة والخبرة التي يمتلكها أفضلُ

لاعبي كُرة القدم قطعاً. كان ميسي بالفعل خفيفاً عندما كان طفلاً، إلى درجةٍ كبيرةٍ بعض الشيء، في الواقع، لقد زوّده العلاج بهرمون النّمو بنقطة الجاذبية التي يحتاجها بالضّبط. علاوةً على ذلك، أصبحت هذه الخفة الجّسدية أيضاً عقليّة - أو من الأفضل القول: روحيّة- مع مرور السنين وتمتّعه بالكثير من النجاح. يركّز كالفينو قبل كلّ شيء على البطل بيرسيوس، «الذي يطيرُ مرتدياً خُفّاً مجنّحاً»، واستلهاماً من ذلك، يتذكّر سلسلةً من الكُتّاب الذين خلقوا هذا الإحساس بالرّشاقة، من لوكريتيوس، الذي يبدو أنه يريد «منع ثقل الأمر من سحقنا» إلى شكسبير عندما يقول بروسبيرو «نحن أشياءٌ تُصنع مثل الأحلام». كلُّ هذه الإشارات تتحرّك، كما أعتقد، بذات الخفّة التي يتحرّكُ بها ميسي بين المدافعين، كأنّ قدميه لا تُلامسان الأرض. لكن إذا اضطُررت إلى اختيار اللّحظة التي توضِّح خفّته بشكلٍ أفضل، فيجب أن تكون لحظة الهدف الذي سجّله في نهائي دوري أبطال أوروبا في روما ضدّ مانشستر يونايتد، في 27 أيار / مايو 2009. تشافي كانت لديه الكُرة على يمين خط المنتصف، يبحث عن تمريرةٍ، ويرى ميسي ينبثق من بين اثنين من المدافعين على طرفِ منطقة الجَزاء، وكان يَظهرُ بوضوح أنّه يتوقع تمريرةً عرضيّة، وتشافي يستجيبُ فوراً، ويُسدِّدُ كرةً سريعةً ودقيقة داخل منطقة الجزاء، ميسي يركض ويقفز فجأةً، ثم يرتفع فوق المُدافع (فرديناند، الذي يبلغ طوله متراً وتسعة وثمانين سنتمتراً) ويطيرُ طوال الوقت اللازم لتسديد الكّرة بالرأس وإرسالها فوق حارس المرمى (فان دير سار، الذي يبلغ ارتفاعه متراً وسبعاً وتسعين سنتمتراً)، يتقوّس جسده إلى الخلف حتّى يتمكن من الحصول على وضعيّةٍ أفضل لتلقي التمريرة العرضية، ولو لم تكن رأسيّته دقيقةً جداً إلى

درجة أنها تُرسِل الكُرة فوق الحارس وتُدخِل هدفاً، لقلنا أن ميسي ربّما صعد مثل بالون هيليوم، رشيقاً وخفيف الوزن، إلى السّماء.

السّرعة

السّرعة كما يراها إيتالو كالفينو، هي قبل كلّ شيء: «العلاقة بين السّرعة الجسديّة والعقليّة». ومع ذلك، فإن السّرعة تتطلّب أيضاً فنّ التوقُّف، ومعرفة متى تستريحُ من حينٍ إلى آخر لضمان فعاليّة السُّرعة. نقلاً عن قصة من ديكاميرون لبوكاتشيو، لاحظ كالفينو: «أنّه حتى الأسلوب المناسب يتطلب استعداداً للتكيُّف، ورشاقةً في التعبير والتفكير». أحياناً، تكون سرعة ميسي محض وهم. إنه ليس أسرعَ لاعب، ولا أكثرَ من يركضُ في اللعبة، لكنه بالتأكيد أحد أفضلِ اللاعبين عندما يتعلّق الأمر بتكييف سرعته مع ما يريد تحقيقه. علاوةً على ذلك، فهو الأسرع عندما يملكُ الكُرة، وعندما يُمرّرها، لا يُداعبها مطلقاً، يُمرّرها في الوقت والمكان الصحيحين. يعمل دماغه بسرعةٍ كبيرة إلى درجة أنه غالباً ما يبدو فعلاً انعكاسيّاً، وعملاً غريزيّاً لا يُمكن تخيّل عدم حدوثه، ولهذا نادراً ما يتباطأ عندما يراوغ، على سبيل المثال: إذا كانت خطوةً واحدة كافية، فلن يقوم بخطوةٍ أخرى. وأعتقد: هنا يكمن تفوّق ميسي على كريستيانو وآخرين.

هناك العديد من الأمثلة على هذه السّرعة يمكن رؤيتها في لعبته، لكن الهدف المفضّل لديّ هو الهدف الذي سجّله في 30 أيار / مايو 2015، في نهائي كأس الملك ضدّ أتلتيك بلباو، وهو أحدُ أفضل أهدافه على الإطلاق. قوّتهُ في المرة الثّانية التي يخطفُ فيها فرصة التسجيل، وساقاهُ تلتفّان بينما يتخطّى ثلاثةَ خصومٍ في ثانية، ثم توقّفه لحظة لاختيار طريقه

نحو الهدف، والسُّرعة التي يُسدّد بها عندما يرى فجوة؛ كل شيء يتّحد ليَصنع هدفاً خارقاً. مثلُ هذا الجّمال والسُّمو جعلَ العديد من المُعجبين يصنّفونه واحداً من أفضل عشرةِ أهدافٍ على الإطلاق. حللت صحيفة «سبورت» اليوميّة الحركة علمياً، وكتبت: أنّ الأمر برمّته استغرق 11.4 ثانية، وأن ميسي ركض خمساً وخمسين متراً، وعندما سدد الكُرة، فعل ذلك بمنتهى الدّقة من خلال الطريق الوحيد الممكن، لو كان قد مرّرها بمقدار 1.5 ملم إلى اليمين أو اليسار، لكان حارسُ المرمى سيوقف الكُرة، أو كانت ستصطدم بالعارضة.

الدّقة

السُّرعة تكون أكثر فاعليّة عندما تكون مصحوبةً بالدّقة. ومع ذلك، في هذه الحالة، يؤكد كالفينو معبراً عن الدقة: أنّها رهانٌ فنيٌّ من شأنه «استحضار صورٍ مؤثّرةٍ لا تُنسى»، و «لغة دقيقة قدر الإمكان»، ضدّ «طاعونٍ رهيب» يشجّع على الكتابة الخاطئة غير المُقنعة. تُعد الدّقة التي يلعب بها ميسي تحدّياً أيضاً، ويجب أن تكون بمثابة مثال على الضجيج الذي يسلب كُرة القدم أهميّتها: الأخطاء، وإضاعة الوقت، والتسلّل، والمبالغة في الدّفاع، وأنانيّة المهاجِمين. ميسي لا يغوصُ أبداً في منطقة الجزاء، ولا تُغريه نوبات اللاعبين المسرحية أبداً، ولا يلجأ إلى الرّتوش لتجميل لعبته. ولهذا، فهو لا يحبُّ المُدرّبين الذين يتكهنون بالنتائج، ولا الحكّام التعسُّفيين الذين لا يملكونَ معاييرَ واضحة فيما يتعلق بالأخطاء، ولا الذين يشجعون على التّمثيل. يستشهد كالفينو بنصّ بقلم بول فاليري، حيث يُحدّد الدافع الإبداعي لإدغار ألان بو، ويمكن بسهولة أن يكون ذلك

وصفاً لكُرة القدم، وينطبق تحديداً على ميسي: «شيطان الوضوح وعبقريّة التحليل ومخترِع أكثر التوليفات إغراء في المنطق والخيال».

الوضوح

عند توقّع شكل لاعب كُرة القدم في القرن الحادي والعشرين، قال هيلينيو هيريرا: إنه سيكون لديه السّحر الذي تمتلكه أجهزة الكمبيوتر. مما جعلني أفكر في المناسبات العديدة التي لاحظ فيها شخص ما: أن كُرة قدم ميسي تشبه لعبة فيديو. من المحتمل جداً أن هيريرا، بالأفكار التي كانت لدى الناس عن أجهزة الكمبيوتر في عام 1979، كان يُشير إلى لغز معالجة المعلومات بمثل هذا التعقيد السحري، والبعيد عن قدرة بني البشر، ويرى عُشّاق ألعاب الفيديو في ميسي طريقة للّعب وإيقاعاً ومجموعة من الصّفات التي تبدو ممكنة فقط في الواقع الافتراضي، وليس على أرض ملعب كُرة قدم حقيقي. يُعرِّف إيتالو كالفينو الرؤية بأنها: براعةُ تخيّل شيءٍ مستحيل، شيءٍ لم يكن موجوداً من قبل. نحن نعيش في عصر تفرض فيه الصُّور نفسها علينا، وتطغى علينا بتجاوزاتها. في أيام لازلو كوبالا أو ستانلي ماثيوز، نادراً ما يرى لاعبو كرة القدم الأهداف التي سجّلوها، ناهيك عن أهداف خصومهم. أقصى ما يمكنهم فعله هو تذكّرها وتجديد ذكرياتهم بمساعدة تقارير الصّحف والصّور. والشيء نفسه ينطبق على المُتفرّجين؛ إذا لم تكن في أرض الملعب، فإن التّعليقات الإذاعية وتقارير ورسومات الصّحف في صباح اليوم التالي كانت هي المصادر الرئيسية، إن لم تكن الوحيدة، إذا أردت إعادة تصوُّر الحركات.

اليوم هو عكسُ ذلك تماماً. نشاهد المباريات مباشرةً، ونرى الحركات

الرئيسيّة تتكرر من كل زاوية، بالحركة البطيئة، مصحوبةً بتعليق الخُبراء. وفي صباح اليوم التالي يمكننا إعادة رؤيتها على الإنترنت ومقارنتها بحركاتٍ أخرى في الماضي وتحليلها، ويفعل لاعبو كرة القدم ذات الشيء أيضاً. عندما تكون لاعباً مبدعاً، غالباً لا تأتي لعبتك من الخيال الخالص، ولكن من المشاهدة المتكرّرة لما سبق وشاهدته بالفعل من مباريات سابقة، وهذا نراه حتى في الطريقة التي يلعب بها الأطفال الصغار في الشارع أو في ملعب المدرسة: يحاولون المراوغة مثل رونالدينيو، أو الاحتفال بالأهداف مثل داني ألفيش على طريقة السامبا، أو تقليد تسريحة شعر نيمار، دون أن ننسى المدرّبين، الذين يحاولون باستراتيجياتهم وتكتيكاتهم التنبؤ بما لا يمكن التنبؤ به...

في هذا السياق، يذكر كالفينو: أن الخيال المرئي يجب أن يكون مصحوباً بترتيب يُضفي عليه معنى - الأسلوب في حالة الرّاوي- أي «شبكة يفرض فيها التفكير والتعبير اللفظي منطقه». تُترجم إلى عالم كُرة القدم، وهذا يعني: أنّه يجب التّحكم في القدرة على الابتكار وإيجاد الحلول من خلال الإحساس بما هو عملي، فلا يبدأ أي شخص لديه ذرّة من الفطرة السليمة في صنع لعبةٍ مُتقنة في منطقة الجزاء الخاصة به، ولا أن يخاطر بضربةٍ قويةٍ من فوق مستوى الرأس (الذي سيكون أكثر إثارةً) عندما تكون الضربة الرأسيّة المباشرة ممكنة، وخير مثالٍ على هذا الشعور، هو: الركلة الحرّة المباشرة. في مسيرته الاحترافية مع برشلونة والمنتخب الأرجنتيني، سجّل ميسي ثلاثة وأربعين هدفاً من الركلات الحرّة المباشرة (اعتباراً من نيسان / أبريل 2019). ذهب معظمهم إلى يسار حارس المرمى، نحو الزاوية العلويّة، وحاول مرتين فقط القيام بشيءٍ صعب،

وهو: التّسديد على الأرض وإرسال الكُرة تحت الحاجز. كانت المرة الأولى في تصفيات كأس العالم بين الأرجنتين وأوروغواي، وبدا فوراً أن ذلك هو الخيار الأفضل، إن لم يكن الوحيد. والمرة الثانية كانت عندما لعب جيرونا في كامب نو كفريق من الدرجة الأولى في 24 شباط / فبراير 2018. سدّد ميسي الرّكلة الحُرّة باستخدام نفس الاستراتيجية، وسجّل هدفاً فوراً. نذكرُ جميعاً، نحنُ مشجعو برشلونة: أنّ رونالدينيو سجّل هدفاً كهذا في أيام مجده، وبذلك فإنّ ميسي يُعيدُ ابتكار الكلاسيكيات. ما هو أكثر من ذلك الآن: كلما كانت هناك ركلةٌ حرّة سيسدّدها ميسي، تعيّن على حُرّاس المرمى التفكير في هذه الاحتمالية، ووجب على اللاعبين الموجودين كحاجز أن يسألوا أنفسهم: ماذا نفعل؟ هل نقفز أم لا؟.

التعدُّدية

حتى عندما لا يلعب ميسي، أو عندما لا يكون في الملعب، فإنّه يلعب لبرشلونة. غيابه بالطّبع ليس حاسماً مثل وجوده، لكن من الطبيعي أن يؤثّر على المباراة، حتى في تلك الأيام النّادرة التي تركه فيها المُدرّب على مقاعد البُدلاء، كان لاعبو الفريق المُنافس يراقبونه من زاوية أعينهم، ويخافون من اللحظة التي سيأتي إلى الملعب، وهذا التهديد، إلى حدٍّ ما، يحدّد شكل لعبهم، فقد يجعلهم يسارعون كثيراً لمحاولة تحقيق الربح في المباراة قبل ظهوره، أو قد يكون العكس، فهو يُبطئهم، ويُخمد رغبتهم في الهجوم، حتى لا يوقظوا الوحش الذي يراقب بهدوء. عندما لا يكون ميسي على العشب، يلعبُ زملاؤه أيضاً بشكلٍ مُختلف. هناك أحد عشر منهم، لكنّهم يعرفون أن الأمر يشبه اللعب بعشرة؛ لأن الرقم 10 لا يمكن

الاستغناء عنه. ثم يحفّزهم غيابه، ويمنحهم نوعاً ما ميّزاتٍ مختلفة. عندما تكون الكُرة عند أقدامهم، فإنهم يبحثون عنه، ولا يرونه، ويلعبون على أمل أن يظهر كما لو كان بالسحر - لأنه موجود دائماً- وليس لديهم خيار سوى ملء الفراغ الذي يشغله.

هذا الوجود الغيابيّ هو أيضاً إحدى الصّفات العديدة التي تمنحُ ميسي التعدّدية. اختار إيتالو كالفينو أرجنتينياً آخر، هو خورخي لويس بورخيس، ويشير إلى «نموذج شبكة من الاحتمالات [التي] يمكن تلخيصها في بضعِ صفحاتٍ من قصة بورخيس». وما يمكن قوله عن القصّة يمكن قوله أيضاً عن الحركة الجماعية عند الاستحواذ على الكُرة. في مكانٍ آخر من مقالته، كتب كالفينو: «إن أفضل الأعمال المُحبّبة، على العكس، تنشأ من التقاء وتصادم العديد من الأساليب التفسيريّة وأنماط التفكير وأنماط التعبير». يُقدّم ميسي الملف الشخصي للّاعب الذي مع كلّ حركة ينفجرُ في ألف لونٍ، وفي نفس الوقت يُكثّف جوهر كُرة القدم، فهو يُمثّل كلّ الأشياء التي يجب القيام بها بشكلٍ جيد في اللعبة.

اسأل أحد المعجبين عن طريقة لعب ميسي التي يفضّلها، وستحصل على مجموعةٍ متنوّعة من الردود، أكثر الردود دِقةً ستقول: «كلّها!». منذ أن بدأ مع ريكارد جناحاً أيمن، خلال الفترة التي قضاها مع غوارديولا بكونه رقم 9، جرّب الأرجنتيني مختلف المواضع، بدءاً من خط الوسط وما بعده. علاوةً على ذلك، وعندما يكون ذلك ضرورياً، يركضُ إلى الخلف ويتحوّل إلى الدفاع، ويستعيد الكُرات، وهو أوّل مهاجمٍ يضغط على الملعب. إنّ ميسي، حرفيّاً، ينتشر عبر الملعب مُسجّلاً الأهداف، يُساعد الحركات والتمريرات، وينظمها.

في يومٍ لا أعتقد أنه بعيد سيعَلم ميسي أنّه: ليس عليه القيام بكل حركةٍ من البداية حتى النهاية. ومع ذلك سوف يجد باستمرارٍ المكان الذي يمكن أن يكون فيه مفيداً. ستمرُّ السنوات، وسيقترب وقت الاعتزال، وبينما يبتعد عن منطقة الجّزاء؛ لأنه لم يعد حاسماً هناك،، أنا متأكدٌ أنه سيجد دائماً طريقةً ليصبح فاعلاً.

دييغو آرماندو

«أحياناً كان مارادونا هو مارادونا، ميسي هو مارادونا كل يوم».

سانتياغو سيجورولا.

فازت الأرجنتين بكأس العالم مرّة ثانية في 29 حزيران، يونيو 1986 عندما أُقيمت في المكسيك. ولد ميسي بعد هذه الحادثة بعام واحد تقريباً، وتحديداً في 24 حزيران، يونيو 1987. جميعنا يعلم أن هذا الطّفل المتوتر والنحيف نشأ في بلدةٍ كان دييغو أرماندو مارادونا فيها نجمَ الإعلام الضخم، وهو الاسمُ الذي يمكن أن يتّفق عليه جميع الأرجنتينيين. كانت البلاد تشهدُ عودةَ الديمقراطية مع وجود اضطراباتٍ سياسية كثيرة في أماكن مختلفة.

انتهت الديكتاتوريّة العسكريّة، وانتُخب راؤول ألفونسين رئيساً، لكن خطّته لاستعادة الانسجام الاجتماعي بدأت في الانقسام بسبب الرّغبة في محاسبة الجيش، ولقد صدرت قوانين الإفلات من العقاب في محاولة لتخفيف العقوبات على الجّرائم التي ارتُكبت في ظلّ الدكتاتورية، وكانت المشاكل تظهرُ من حين إلى آخر. في هذه الأثناء،

واصل «مادريس دي لا بلازا دي مايو» التظاهُر والمطالبة بالعدالة للفارّين، وغنّى ستينغ أغنيته الشهيرة « هم يرقصون وحدهم»، ولقد دعا مادريس إلى حفلاته الموسيقيّة حتّى يتمكّن الجميع من التعرّف إلى نضالهم الدؤوب. كان مارادونا حينئذٍ يلعب لنابولي، كان نجماً بعيداً. في العام التالي لكأس العالم فاز بـ «سكوديتو وكأس إيطاليا»، مما جعله لاعب كرة قدمٍ أكثر شهرةً، وصار يعتقد الكثير بالفعل: أنّه الأفضل في العالم. عندما كان ميسي في روزاريو، فاز مارادونا بلقب دوريٍّ آخر في نابولي، وخسرَ نهائي كأس العالم في إيطاليا مع الأرجنتين في عام 1990، وبعد بضعَةِ أشهرٍ أثبتَ نتائج إيجابيّة أول مرة في اختبار المخدرات، وبالطبع تم إيقافه مدّة خمسة عشر شهراً، ولم يلعب أيّ مباراة تنافسية. في عام 1992 ذهب إلى إشبيلية مدة موسم، بطلبٍ من كارلوس بيلاردو مدير النادي.

كان شعره طويلاً، يلامسُ الكتفين، وقادَ الفريق منذ مباراته الأولى. لم يعد يركضُ بسرعةٍ كبيرة، ولكنّه قام بتمريرات مثل الملاك، ولم يكن بحاجةٍ إلى التشجيع للتسدّيد. بحلول نهاية الموسم، كان مارادونا قد بلغ ثلاثة وثلاثين عاماً تقريباً، وبدت قدرته على اللعب تتراجع، لكنّه كان يعلم: أن لديه فرصةً أخرى في كأس العالم - في الولايات المتحدة عام 1994- ولذلك قرر أن يلعب في الأرجنتين مرّة أخرى.

كان بالتأكيد في وضعٍ يسمح له بالاختيار والحصول على صفقة، واختار اللعب مع نيويلز أولد بويز في روزاريو. لعب مباراته الأولى في 7 تشرين أول، أكتوبر 1993 في مباراةٍ ودّية ضدَّ إميليك من الإكوادور، وهي المباراة التي انتهت بفوز نيويلز 1-0 بهدفٍ جيد من مارادونا، الذي حصل على قصّة شعر جديدة، وبدا في حالٍ أفضل. وصل أربعون ألف

متفرجٍ إلى الملعب في تلك الليلة للترحيب به، وعندما سجّل هذا الهدف؛ اندفع العديد إلى أرض الملعب لتهنئته. من بين الحشد كان هناك ميسي الذي يبلغ من العمر ستَّ سنوات، كان برفقة والده، ولربما شعر بالملل في المباراة مثل جميع الأطفال في سنّه، أو ربما شعرَ بالنّعاس، لكنه بلا شك كان مفتوناً بهذه الشخصية على أرض الملعب، مما جعله يقفز على أرض الملعب ويعانق المعبود الأرجنتيني. كانت روزاريو مكاناً جيداً لمارادونا للعودة إلى كُرة القدم في بلاده، لقد تجنّب الأجواء المليئة بالضُّغوط في بوينس آيرس، لكنه في نفس الوقت كان يلعب في مدينةٍ ذات تقاليد كُرة قدمٍ طويلة ومُتميزة. التنافس الرئيس هو بين فريقين كبيرين في المدينة، نيويلز أولد بويز وروزاريو سنترال، ويُعرف باسم «الجُذام»، ولاعبوه يرتدون هذا الاسم بفخر. يأتي هذا اللقب الذي يبدو كأنه مادة للتندّر من عشرينيات القرن الماضي، عندما كان من المفترض أن يلعب الناديان لعبةً خيريّة لمؤسسة ليبرز، حيث تراجع روزاريو سنترال عن اللعبة، ربما بسبب فكرة سخيفة عن النّظافة كما يُشاع، ومنذ ذلك الحين أهانهم منافسوهم بلقب «الخنازير»، وجاء الرّد: نحن «الجُذام». من مشجّعي نيويلز.

أتساءل: ما إذا كان ليو ميسي قد ذهب إلى تلك المباراة مرتدياً قميص الجُذام الأحمر والأسود. كان الجميع في عائلة ميسي يدعمون نورولس باستثناء شقيقٍ واحد، ماتياس، الذي شجّع روزاريو سنترال. أعطاه والد ليو قميصه الأول عندما كان في السنة الأولى من عمره. يمكنك العثور على هذا النوع من التفاصيل حول طفولة ميسي في كتاب السيرة الذاتية الممتازة، التي كتبها جيلم بالاجوي (2013) Orion Books ابتداءً من المنزل الذي كان يعيش فيه ميسي، عندما كان طفلاً في روزاريو، وعمر

والديه عندما وُلِد: خورخي ميسي، تسعة وعشرون عاماً، وسيليا كوتشيتيني سبعة وعشرون عاماً، و أسماء المعلمين الذين درّبوه في المدرسة، وتقدُّمه في الرياضيات واللّغة في سن الثامنة، وكذلك عندما بدأ يلعب كُرة القدم بشكل مكثّف، والكثير الكثير من التفاصيل التي لا تنتهي عن طفولته.

في النهاية، وجود مارادونا مع «الجُذام» لم يدم طويلاً؛ فقد لعبَ خمس مبارياتٍ تنافسية فقط، ولم يُسجّل أيّ هدف، ومتذرعاً بإصابته، غادر المكان، وكان يجهّز نفسه للعودة إلى المنتخب الوطني استعداداً لكأس العالم في صيف 1994، مع عدم وجود نادٍ يلعب معه، حيث نعلم الآن: أنه تمّ إثبات تعاطيه المخدرات في اختبار تمّ إجراؤه وقتئذٍ.

في 21 آذار / مارس من نفس العام، بعد شهرين فقط من مباراة مارادونا الأخيرة مع نيويلز، تمّ التعاقد أوّل مرّة مع ميسي؛ ليلعب في النادي نفسه. إنها نقطة الانطلاق إذن، ويتخيل المرء ما كان يمكن أن يحدث لو بقي مارادونا في روزاريو، ربّما كان سيستغرق عشرين دقيقة من وقته فقط للذهاب إلى ملعب تدريب الشباب؛ ليُهنّئ الصبيّ الصغير، ويراقبه وهو يلعب بهذه الحرفيّة التي سيعلم مارادونا أنها حرفيّة إله جديد، إله أكثر نظافة سينافسه على أسطورته القادمة، وقد يجب أن نكون سعيدين بأنّه لم يحدث ذلك... ربما.

الديناميكا الهوائية

«ميسي هو اللّاعب الوحيد الذي يكون أسرع؛ عندما تكون الكُرة بين قدميه، أكثر مما لو أنه بدونها».

«بيب غوارديولا»

لو كان ميسي قد وُلِد في البرازيل، فمن المؤكّد أنه سيصبح ميسينيو، أو حتى ميسيزينيو، ولا يزال هناك صحفيّون في الأرجنتين يشيرون إليه بلقبه، لا بولجا «البرغوث»، وهو ما أُطلق عليه في بلده في النادي الأول، نيويلز أولد بويز.

عندما جاء إلى أولى مبارياته مع برشلونة، في 17 أيلول، سبتمبر 2000، كان ميسي يبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً، وبطول أقلّ من مترٍ ونصف المتر (1.48 متراً)، وفي مقابلة أُجريت عام 2004 على التلفزيون الأرجنتيني، قال اللاعب نفسه: إن «الهرمون كان نائماً» - هرمون النمو - وبفضل العلاج المدفوع بواسطة نادي برشلونة استيقظ الهرمون، وبعد خمس سنوات فقط، أصبح طوله متراً وتسعة وستين سنتمتراً ، ووزنه سبعة وستون كيلوغراماً.

بعد ثلاثِ سنوات، عندما كان يبلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً، كان يبلغ متراً وسبعين سنتمتراً، وهو طوله الآن، وقد يكون الطول المثالي للاعب كُرة القدم، خاصةً إذا كان جناحاً، أو لاعب وسطٍ سريع. يبدو الأمر كما لو أنّهم قد أعطوه هرمونات النّمو؛ حتى وصل إلى الطّول المثالي، ثم توقّف.

من وقتٍ إلى آخر، يظهر شخصٌ من العدم، ويحاول جاهداً إظهار ما نعرفه جميعاً بالفعل: إنّ ميسي هو الأفضل في العالم. علينا أن نعترف: أن البيانات تجعل هذه المعلومة تبدو أكثر صحّة.

في عصر يُهيمن عليه لاعبو كُرة قدم طويلو القامة وأقوياء، يُعدُّ ميسي معجزةَ الميكانيكا الحيوية الذي يستفيد إلى أقصى حدٍّ من مركز ثقله المنخفض.

في مقال على موقع Bleacher Report الرّياضي، نقل روس إيدجيلي - رياضيُّ المغامرات والكاتب الشهير- عن المجلة البريطانية للطب الرّياضي، قوله: «في مجال علوم الرياضة، يُفهم أداء النُّخبة على أنه نتيجةُ كلٍّ من التدريب والجينات»؛ أي: هو التوازن في الطبيعة الدائمة مقابل التنشئة. في الحالات التي تكون فيها العوامل الوراثيّة خارجة عن المألوف - كما في حالة ميسي- يمكن ساعاتٍ من التّدريب أن تعوّض ما ينقص. مهاراته في المراوغة، على سبيل المثال، تأتي من التدريبات التي قام بها منذ سنٍّ مُبكّرة جداً للتغلّب على عيبه الجسدي، ويوضح إيدجيلي أكثر: «إنّ لاعبي كرة القدم الذين يمتلكون خطوة جري أقصر ووزناً أقل قادرون على إبطاء حركتهم بسرعة، وتوقّع التغييرات في الحركة وزيادة السُّرعة».

كان هذا هو الحال مع غارينشيا، أحدُ أروع مراوغي الكرة في تاريخ

اللعبة؛ لقد وُلِد بساقين ملتويين، وبفضل ساعاتٍ وساعاتٍ من التدريب، تغلّب على عيبه، وأصبح ماهراً للغاية. وبهذا، بفارق متر وسبعين سنتمتراً، تقريباً، ينضم ميسي إلى مجموعة من اللاعبين الذين سيطروا على المراوغة والاستحواذ على الكرة. فقط، لإعطاء بعض الأمثلة المشابهة بعض الشيء: مارادونا متر وخمسة وستون سنتمتراً، وروماريو وزغالو متر وسبعة وستون سنتمتراً، وتشافي متر وثمانية وستون سنتمتراً، وغارينشيا العظيم متر وتسعة وستون سنتمتراً، مثل بيدرو، وألكسيس سانشيز، ورحيم ستيرلينغ، وجوردي ألبا متر وسبعون سنتمتراً، وإنييستا متر وسبعون سنتمتراً.وماعدا ذلك يصبح اللاعبون طويلين جدّاً، على الأقل فيما يتعلق بمعايير الدوري الإسباني، ونوع كُرة القدم التي تُلعب هناك. في محادثة مع خورخي فالدانو، أشاد يوهان كرويف بصفات ميسي الفريدة، ولاحظ: «أنّه من أجل أن يكون قادراً على تحديد وقت المراوغة ومتى يخسر دفاعه، كان من الضروري أن يكون لديه زملاء في الفريق من نوع اللاعبين بلمسة واحدة، مثل إنييستا وتشافي».

إلى جانب ذلك، أضاف كرويف: «لدى ميسي ميزةٌ كبيرة، أنه يمكنه النظر بعينيه إلى مساحات مختلفة، وهذه التفاصيل تصنعُ الفارق». بطبيعة الحال، الطول ليس كل شيء، وأنت بحاجةٍ إلى غريزةٍ خاصة لاستخراج الديناميكا الهوائية الصحيحة من جسمك. إحدى الطرق التي يتفوق بها ميسي هي قدرته على التّوقف عن الحركة، بنفس الطريقة التي يمكنه من خلالها أن يزيد سرعته والكرة بين قدميه، أو توقُّع ردّ فعل المدافع - الخطوة إلى الأمام، موقع القدمين- بأجزاء من الثانية قبل اللاعبِين الآخرين، مما يمنحه غالباً ميزة حاسمة، فهو أيضاً يعرف كيف يتحكم في إيقاعِ الحركة

ويتحكم بوقفةٍ صغيرة، أقلَّ من نصف ثانية، تسمح له بتحديد صيغة اللعب. يبدو الأمرُ كما لو أنّه يستطيع إيقاف الوقت، كما لو كان بإمكانه إعادةُ ضبط الحركة للحصولِ على النتيجة الأفضل.

في عالم الموسيقى، يشتاق مُعظم المنتجين التّجاريين لما يسمّونه «ورقة النقود». هذه تسميتهم للنوتة الموسيقية، مما يعني: أن أغنية البوب ستحقّق نجاحاً عالمياً كبيراً. في بعض الأحيان تكون النغمة أعلى أو أطول، أو يقطعها إيقاع صامت قصير، يُعيق تدفُّق اللحن، وفي هذا القطع تكمن اللحظة التي يتذكرها الجميع، وكلما سمعتَ تلك الأغنية مرّة أخرى، انتظرت تلك اللحظة. ومن أشهر هذه الأغنيات أغنية ويتني هيوستن «I will always love you»، حيث تأتي تلك اللحظة بعد ثلاث دقائق وعشر ثوانٍ، وقفة أقصر، فقرع للطبول، ثم الصوت «aaaayyaaaaay...». و في أغنيته «Faith»، نجد عند جورج مايكل تلك اللحظة من تضمين الوقفة الصامتة في الايقاع. في بعض الأحيان، عندما أرى ميسي، يتحرّك إلى الأمام ويقف، أو عندما- تقريباً- ينزلق على العشب مدّة نصف ثانية، أفكّر في تلك الاستراتيجية الموسيقية: التوقف الذي ينوّم خصمه ويعطيه الأفضلية، حيث يتدفق لحن ميسي الكروي.

بشكلٍ عام، ميسي هو اللاعب الأكثر نفوذاً في الدوري الإسباني، لكنّه ليس الشخص الذي يسقط على الأرض في أغلب الأحيان، ولا الأكثر استهدافاً من قبل المدافعين. في موسم 2016-2017، كان نيمار أكثر اللاعبين تعرّضاً للخطأ بمجموع ارتكاب مئة وستة وعشرين خطأً ضده، بينما كان ميسي العاشر في جدول المتضررين، تسعة وسبعين خطأً فقط. الحقيقة أنه من الصعب للغاية إيقاف ميسي عن طريق التلاعب به أو

عدمه. في بعض الأحيان، عندما أراجع بعض أهدافه التي تأتي من اللّعب المفتوح، لدي انطباعٌ بأن خصومه يتحركون جانباً، كما لو كانوا خائفين من رؤيته، أو يريدون فقط مشاهدته ومعرفة ما سيفعله بعد ذلك، من الواضح أن هذا انطباعٌ خاطئ أبالغ به أحياناً.

أتذكّر ذلك الهدف في نصف نهائي دوري أبطال أوروبا ضد بايرن ميونيخ، الهدف الذي جعل النتيجة 2-0، أعني الهدف ضد بواتينغ: ميسي، الذي يتقدّم في الملعب، يتلقى كرةً خارج منطقة الجزاء ويتّجه نحو المرمى، تتمّ مُراقبته من قبل بواتينغ، الذي ترك الجانب الأيمن حُرّاً؛ لأنه يعلم أنّ الجهة اليمنى هي ساق ميسي السيّئة (أو الأقل جودة). يلعب ميسي على اليسار، ويجعل بواتينغ يتردّد لحظة، ثم يقطعه مُراوغاً جهة اليمين، لا يستطيع بواتينغ تحمّل هذا الميلان جسدياً، فهو طويلٌ للغاية وثقيل الوزن، يسقط على الأرض كما لو كان مُتعمّداً، بينما يواصل ميسي بعد ذلك دون معارضة، وعندما يخرج نوير أمامه، يضرب مرماه بتسديدة دقيقة.

هناك العديد من المدافعين الذين عانوا عند أقدام ميسي، وبالتأكيد أثّرَ ذلك سلبياً على توقعات بواتينغ لتحركاته. لاعبون عظماء يشاهدون ميسي يفرضُ عليهم مركز ثقلهم، حتى تُلعب المباراة بما يتماشى مع طوله هو لا طولهم.

لقد قلتُ : إنّ من الصعب للغاية إيذاءه، لكن الأمر ليس كما لو أن المدافعين لا يحاولون، فعندما لا يقعون مثل بواتينغ المسكين، يحاولُ المدافعون زعزعة استقراره بأجسادهم، يدفعون، يلاحقون، ويسحبون قميصه، لكنّه دائماً ما ينهض، ويستمرّ دائماً، ولا يتخلى عن أي شيء، ولا يضيّع الفرصة أبداً. قبل بضع سنوات، في عام 2012، نال الكاتب

الأرجنتيني هيرنان كاسكياري، الذي كان يعيش في برشلونة في ذلك الوقت، كمّاً هائلاً من الشُّهرة بمقاله الاستفزازي والمؤثر والجميل: «ميسي كلب».

نشرها في مجلة أورساي، بعد أن شاهد فيديو يُسمّى «ميسي لا يقعُ أبداً». كان عبارة عن مجموعة من المقاطع يستخدم فيها خصومه جميع أنواع الأخطاء، ويضغطون عليه ويقطعونه لمحاولة إيقافه، لكنه دائماً ما ينهض ويستمر، بتوترٍ شديد، ولا يشتكي أبداً. كتب كاسكياري: أن «عيون ميسي تُركّز دائماً على الكُرة، وليس على اللّعبة أو السياق»، كما لو كان «منوّماً مغناطيسيّاً»، متّجهاً نحو هدفٍ واحد، وهو إدخال تلك الكُرة إلى مرمى الخصم. ويكتب: أنّ مثل هذا الموقف يذكّره بالكلب الصغير الذي كان لديه عندما كان طفلاً، إنّ هذا الكلب يتمسك بإسفنجة يُحبّها بين أسنانه، ولا توجد طريقة لتجعله يتركها، كان لديه فقط عيون للإسفنجة. ويضيف كاسكياري «ميسي كلب، ميسي رجلٌ مريض. إنه مرضٌ نادر يُثيرُني؛ لأنني أحببت توتين، والآن أحب ميسي؛ فهو آخِرُ رجلٍ كلب».

يُمكننا أن نتّفق على أنها طريقةُ عرضٍ أو مقارنة غير موفّقة، لكنّها تعمل على إبراز غريزة الحيوان النقيّة، التي غالباً ما تدفع ميسي عندما يلعب كُرة القدم.

مارادونا

أتساءل أحياناً، متى أدرك مارادونا أن ميسي أفضل منه...؟! وإن كان قد فعل ذلك بالفعل، -نعم، أعرف أنني أرمي بنفسي، بلا خجل، إلى اللانهاية- أكان ذلك في اليوم الذي سجل فيه ليو «هدف مارادونا التاريخي» أمام خيتافي؟.

كان ميسي في التاسعة عشرة وقتئذٍ، مع إيلان المخضرم. لقد كرر دون أن يعي الهدف الرائع الذي سجله مارادونا في شباك إنكلترا، عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره، بدا ذلك كأنه أراد أن يقول: الآن قُمتُ بتسديد أفضل هدفٍ لك، ها قد تحررت من كل الضغوط الملقاة على عاتقي.

مارادونا لم يتنازل، بل على العكس تماماً، فبينما كان ليو يحصل على المزيد من الألقاب ويُحطّم أرقاماً قياسيّة، كان دييغو يذكّرنا: أنّ ميسي لم ينل اللقب الأساسي الخاص به، اللقب المنشود وهو الفوز بكأس العالم مع الأرجنتين.

لقد ولّدت هذه الثّغرة حزناً كبيراً لدى ميسي وعائلته، رغم أنّه مازال يمكن له أن يسدّها.

لم يكن دييغو يوماً متهاوناً في توجيه النّقد، ففي واحدة من أضعف المراحل التي مرَّ بها المنتخب الوطني، عندما كان تحت قيادة المدرّب باسيلي، حين كان عليه أن يتأهل إلى كأس العالم 2010، وبعد مباراة مضجرة، لعبتها الأرجنتين مع البيرو، علّق مارادونا على قناة رياضيّة قائلاً: «أحياناً ميسي يلعب من أجل نفسه فقط، كأنّه نادي ميسي لكرة القدم، يا لها من مهزلة قذرة!».

عندما تطرّق دييغو لهذه المسألة، حسب العديد من الأرجنتينيين أنه يجب عليه ألا يُقارن، وأن كلّاً من اللاعبَين استثنائيّ، لكنّهم ما لبثوا أن قاموا هم بذلك؛ إذ لا يمكنهم تجنّب الأمر.

«ميسي ملصق إعلاني، مارادونا علم»: هذا ما قاله هوغو آش في مجلة جوت دون Jot Down، كما كتب باتريسيو برون: إنّها «مقارنة مستحيلة وغير مرغوب فيها»، خاصة بالنظر إلى الحالة الاجتماعية والتاريخية للبلاد، ثم قدّم وصفاً آخر حين قال:

«نحن الأرجنتينيون نحب مارادونا لأن تجاوزاته، وحوادثه، وسقطاته، ما هي إلا انعكاس أنفسنا، أو أن ما نودُّ تصديقه، هو: أن امتلاك المواهب يؤدي إلى إدانة الفرد الموهوب بهذه الطريقة، عليك أن تكون موهوباً؛ لكي ندينك، أو أنك لا تستحق الذكر أبداً.

إدواردو ساشيري، هو كاتب آخر، فكر بوضوح أكثراً، قائلاً على سبيل المثال: إنّه لا يمكن مقارنتهما؛ لأن مارادونا هو بالفعل «أعمال مكتملة»، بينما ميسي «عمل مستمر»، فمن يعرف ما بإمكانه تقديمه بعد؟. يكتب ساشيري أيضاً بشكل حادٍ ومباشر: «ليس خطأ ميسي إن لم نتمكن نحن الأرجنتينيون من إيجاد نهاية لحزننا على دييغو، على تقاعده، ورحيله، وعلى الحقيقة التي لا شك فيها: أنه لن يلعب مرة أخرى أبداً».

وهذا ما أدّى إلى استحالة التقارب بينهما، كما وصفها ساشيري، حتى بالنسبة إلى مارادونا، الأمر عائد في ذلك إلى ميسي؛ الجميع يقولون: إنّ كليهما بذل جهداً ليلتقوا معاً، ومن المحتمل أنّ علاقتهما قد توطّدت، وأصبحت أسهل عبر السنين، ولكنها صُورت من خلال وضع دييغو دوماً في صورة الشخص الذي يعرف كل شيء وإصراره على تقديم النّصائح.

على كلٍّ حال، هناك نقطة فاصلة في علاقتهما، عندما أصبح مارادونا مدرّب المنتخب في تشرين أول / أكتوبر 2008، ليقود الأرجنتين نحو الفوز في كأس العالم 2010 مدركاً أنه يعتمد على ميسي، استمع مارادونا إليه، وسأله بأي الطرق يفضّل اللعب ومع مَن مِن الفريق؟

سلّم مارادونا قيادة الفريق لميسي بدلاً من تسليمها لفيرون (خطوةٌ كان من شأنها أن تبهج مارادونا كلاعب، ولكن ربما كانت مسؤوليّة لم يكن ميسي مستعداً لها بعد).

جعله اللاعب رقم 10، حيلة ذكية بالفعل إضافةً لكونها رمزيةً للغاية، فقد كان الرقم 10 هو الرقم الذي ارتداه مارادونا، ثمّ تبعه بوريتو أورتيغا، ثم أندريس داليساندرو، ثم بابلو أيمار، ثم خوان رومان ريكيلمي، ثم فيرون.

وما كان صادماً، هو ما كشفه خافيير ماسكيرانو في إحدى المقابلات: أن مارادونا رأى في ميسي انعكاساً لنفسه على أرض الملعب «لقد أصبح أصغر بثلاثين سنة»!

يقول الرئيس الصغير (ماسكيرانو): «يذكرني ذلك بآخر أفلام وودي آلن، الذي يختار فيه ممثلين للعب أدوار تعكس شخصية آلن نفسه». وبالفعل، فإن المقومات الأساسية لهذا الانعكاس الذي أراده مارادونا كانت موجودة، لكنها لم تنجح مطلقاً؛ لم يشعر ميسي بأنه مندمج مع

الفريق، أما مع بيب غوارديولا فقد تمكن ميسي من تقديم أفضل نسخة من نفسه، نسخة صانع لعب يتمتع بحريةٍ مطلقة في الحركة. بحث مارادونا عن نسخة أرجنتينية من تشافي، أنييستا أو بوسكيتس، لكنه لم يعثر عليها مطلقاً. تُظهر الأرقام أنه عندما كان مارادونا مدرّبه، سجل ميسي ثلاثة أهداف في ست عشرة مباراة، إنّه لأمرٌ بائس، لقد لعب في كأس العالم في جنوب أفريقيا ولم يتمكن من رؤية المرمى، وخرجت الأرجنتين بعد أن خسرت أمام ألمانيا (4-0) في ربع نهائي كارثي. و فازت إسبانيا بكأس العالم وقتئذٍ. وأتساءل: إن كان ميسي قد شعر بالندم على قرار اتخذه قبل سنوات في برشلونة؛ فعندما كان في السابعة عشرة من عمره، كان الاتحاد الإسباني قد أغراه ليلعب مع فريق روخيتا في كأس العالم تحت سبعة عشر عاماً، بكونه إسبانياً حاملاً للجنسية إلى جانب سيسك وديفيد سيلفا و آخرين، ومع ذلك اختار الأرجنتين.

أسلوب المشي

بعض اللاعبين يمشون خلال اللعبة أفضل من ميسي، وبعضهم يركض أكثر، وبعضهم الآخر أكثر رشاقة، أو يقطعون بخطواتهم مساحةً أكبر من الأرض، لكن الطريقة التي يمشي بها ميسي فريدةٌ من نوعها. بيكنباور كان يمشي عبر منطقة الدفاع كشخص يتمشى في حديقته الخاصة، بينما تجول غونزاليس بلا مبالاة في منطقة الخصم كمتسكّع.

إبراهيموفيتش يمشي كطائر طويل الساق بشكل مهيب، كطائر الفلامينغو، مدركاً أنه محط إعجاب الجميع. أما ميسي، فهو يمشي كأنما أضاع مفتاحاً أو شيئاً ما، عيناه تنظران إلى بقعة صغيرة من الأرض، وأحياناً قد تظن أنه يحسب بُعد المسافة بينه وبين الخصم، ويفكّرُ إن كان الأمر يستحق الاقتراب أو لا. بعض حرّاس المرمى ممن ينتابهم القلق يمشون مسافات أبعد من ميسي في اللعبة، إلى الأمام والخلف مراراً وتكراراً. لو كان ميسي لاعباً آخر، لشعرت بأنني أريد أن أطلب منه الجريَ أكثر، ولكن عندما يتعلق الأمر بميسي، نعلم أن ذلك غير ضروري، فهو لا يزيح عينيه عن اللعبة، ويعرف كيف يدّخر طاقته.

والغريب أنَّ مشية ميسي تقلق جمهور برشلونة «فقط»؛ إن لم يكن

الفريق يلعب جيداً. فعلى سبيل المثال، في السنة التي استلم فيها تاتا مارتينو تدريب الفريق خلال موسم 2013/ 2014، مشى ميسي أكثر من أي وقتٍ مضى، فبررنا مشيته بقولنا: «يحافظ على طاقته استعداداً لكأس العالم».

في تشرين أول / أكتوبر 2013، في أول سنة يتسلم فيها بيب غوارديولا تدريب بايرن ميونخ، زرته في مكان إقامته في شارع سابينير. بيب أراني الملاعب والمرافق الحديثة للغاية، وتناولنا القهوة في مكتبه الذي كان أشبه بسفينة فضاء. ما بعد ظهر ذلك اليوم كان غوارديولا يحضّر مباراة دوري أبطال أوروبا التي كانت ستقام في ذلك الأسبوع ضد فيكتوريا بيلزن التشيكي، وعلى شاشة الكمبيوتر جعلني أشاهد المباراة التي كان يشاهدها، وهي اللعبة الأخيرة التي لعبها فيكتوريا في الدوري، وسرعان ما لاحظت غرابة ما شاهدت...! لقد سجل فريق مساعدي غوارديولا مباريات الخصم بكاميرا ثابتة تُظهر الملعب كاملاً، بدلاً من رؤية تحركات كل فرد على حدة؛ أراد الحصول على نظرة عامة لتحركات الفريق المنافس، مناطق الضغط في الاتجاهات كافة، والحركة الطبيعية لكل لاعب. والآن، أذكر ذلك وأفكر: كم أودُّ مشاهدة مباراة كاملة لبرشلونة من المنظور ذاته! إنّ ذلك سيبدو كالجلوس في نقطة المراقبة على الأرض، أودُّ التركيز على ميسي فقط ومشاهدته يمشي باستمرار غافلاً عن كل ما يدور حوله، كما يبدو أنه يفعل، وأن أتابع تحركاته وردات فعله، تلك الخطوات التي تبدو عشوائية وغير متجهة إلى نقطة محددة في هذا الاتجاه أو ذاك،، وفجأة إصابة، أو مطاردة للإمساك بتمريرة، أو وجودٌ يحفّز على الحركة، أو بداية شيء سيكون بالتأكيد حاسماً.

على سبيل المثال، خلال اللعبة الشهيرة ضد خيتافي، ضمن كأس ملك إسبانيا (كوبا ديل ري)، عندما حقق ميسي الهدف المارادوني، كان من المذهل خلال مشاهدة المباراة توقُّع ما سيحدث في الدقيقة التاسعة والعشرين، كأنّكَ تشاهد مرةً أخرى فيلمك المفضل لِبليك إدواردز «الحفل» منتظراً اللحظة التي سيفقد فيها بيتير سيلليرز فردة حذائه في حمام السباحة. لقد رأيتَها مراتٍ عدّيدة، وتعرف عن ظهر قلب ما سيحدث، ولكن الإعادة، ببساطة، تزيد من بهجتك واستمتاعك.

إذن! ها هي الدقيقة التاسعة والعشرون، وميسي في أقصى اليمين، بالقرب من خط المنتصف، قبل دقائق قليلة عاد ليدافع، وأرسل الكرة إلى ركنية، ويستريح الآن من الجهد الذي بذله، يتابع اللعبة من بعيد، أربع خطوات إلى الأمام، خطوتان إلى الخلف، ثلاث خطوات إلى الأمام، واحدة إلى الجانب، واثنتان إلى الخلف... ينظر إلى الأعلى ويتصلب عندما يرى الكرة متجهةً نحوه، ويسترخي عندما يخسر فريقه الكرة، ويبدأ المشي مجدداً ببطء، وفجأةً يحصل تشافي على الكرة، ويتجه نحوه؛ فيستقيم مستعداً، تبدو تعابير وجهه كأنه يقول «أنا هنا»، رغم أن تشافي يعلم ذلك على كل حال. ميسي ينتظر، يتلقى الكرة، وسرعان ما يقوم بمناورته الأولى ليتخطى لاعباً، ثم يقوم بأخرى، وبعدها أخرى، وهكذا... مضت اثنتا عشرة ثانية، اثنتا عشرة ثانية فقط، قبل أن ينتاب الجنون الجميع.

هناك استراتيجية أخرى، أعتقد أنّي كنت سأفضّلها أكثر من شاشة غوارديولا الثابتة، تلك التي تسمح لك بالتركيز على اللاعب ومتابعته عبر الملعب.

في 2006 عَرَضَ فنّانا الفيديو (دوغلاس جوردون، وفيليب بارينو)

فيلمَ «زيدان صورة القرن الواحد والعشرين». جرى تصويره بطريقة تجمع بين فيلم وثائقي وعمل فني، يعرضُ كلَّ ما يفعله زين الدين زيدان خلال مباراة واحدة في 23 نيسان / أبريل 2005، بمناسبة مباراة ريال مدريد وفياريال. قام الفنانان بتركيب سبع عشرة كاميرا متزامنة في ملعب سانتياغو برنابيو تتبّعت حركة زيدان خلال المباراة بأكملها، عن قرب، ومن بعيد، انفعالاته، ومناوراته، عندما يركض، وعندما يتكلّم، وعندما يحصل على الكرة. ركزت كلُّ الكاميرات عليه.

في الخلفية ضجيجُ المعجبين، وبين الحين والآخر مقتطفات من الموسيقى لفرقة Mogwai الاسكتلندية. تُشكل الصور المدمجة دراسة جسدية وعقلية لذلك الشخص، صورة آخر لاعب عظيم في القرن العشرين. في نهاية اللعبة تقريباً ينشغل زيدان في مشاجرة، ويهاجم لاعباً منافساً؛ مما يتسبب في طرده، لذلك حتى في هذه التفاصيل ينقل الفيلم طبيعة كرة القدم التي لا يمكن التنبؤ بها.

في بعض الأحيان، عندما أرى ميسي يسير على أرض الملعب، ويفعل تلك الأشياء التي لا يستطيع أحدٌ غيره القيام بها، أعتقد أنه يستحق فيلماً مثل زيدان، عملاً فنياً متحركاً، فهو بالتأكيد كان وسيظل اللاعب العظيم في القرن الحادي والعشرين. كل الكاميرات تتبعه في مباراة واحدة، تبحث في موهبته الغامضة، لن نعرف أبداً ما يحدث داخل رأسه في أثناء اللعب، ولكن على الأقل سنقترب قليلاً.

رونالدينيو

في صيف 2004 نهاية تموز / يوليو، ابتسم لي الحظ؛ فدعتني صحيفة El País لتقديم تقرير عن جولة نادي برشلونة في آسيا. ربما ليس حظاً، بل كان ذلك بسبب تزامن الجولة مع الألعاب الأولمبية في أثينا، ووجهة معظم الصحفيين الرياضيين، إحدى الزميلات كسرت ساقها في اللحظة الأخيرة؛ لذلك اتصل بي رامون بيسا، مراسل كرة القدم الرئيسي في الصحيفة، بعد ظهر يوم الخميس؛ ليقدم لي عرضاً لمهمتي المثيرة، ولقد طلب مني الذهاب إلى القنصلية الصينية فوراً؛ لتقديم طلب الحصول على التأشيرة؛ لأننا سنغادر صباح الإثنين. كانت أولى مباريات الفريق في جولة آسيا، وقادنا ذلك نحو سيئول، وطوكيو، وشنغهاي. كنا مجموعة من عشرات المراسلين، نسافر في رحلة مستأجرة جنباً إلى جنب مع الفريق وطاقم العمل وعدد قليل من المخرجين ونحو خمسين معجباً دفعوا مبلغاً من المال؛ كي يتاح لهم فرصة مرافقة الجولة.

بعد عدة سنوات، ما زلت أشعر أني محظوظ بأن تسنّت لي الفرصة لأكون إلى جانب اللاعبين، وأن أختبر عالماً كان مجهولاً بالنسبة إلي

والتعرف إلى مجموعة من الزملاء المراسلين الذين بذلوا قصارى جهدهم لتسجيل أصغر التفاصيل التي حصلت بالقرب من الفريق (وما زلت أيضاً أملك ساعة روليكس اشتريتها في سوق البضاعة المقلّدة، ولكن هذه حكايةٌ أخرى). طلبت مني إلـ باييس El País أن أقدم تقريراً عن المباريات الثلاث التي كان من المقرر أن يلعبها برشلونة، وأن أستغل ما تبقى من وقتي لاستكشاف المدن باحثاً عن مؤشرات عولمة كرة القدم التي حظيت بتغطية إعلامية كبيرة، وأن أقوم بالكتابة عن صفوف انتظار المشجعين اليابانيين، ممن أرادوا الحصول على توقيع رونالدينيو، وعن ملصقات بيكهام الإعلانية في مترو سيئول، وعن بائعي قمصان برشلونة المزيفة في أسواق شنغهاي.

بينما كنت أتابع حياة الفريق اليومية خلال تلك الأسابيع، عشت -على الرغم من عدم توافرها تماماً- اللحظات الأولى عندما بدأ ميسي ورونالدينيو في التواصل. بينما كان بعض اللاعبين في الفريق في طريقهم إلى الألعاب الأولمبية، قرر فرانك ريكارد في اللحظة الأخيرة تشكيل فريقه بإدراج لاعبين من الفئة B: بيبي مورا، وليو ميسي، الذي كان قد احتفل تواً بعيد ميلاده السابع عشر.

لست صحفياً محترفاً، ولا نبياً، وستكون كذبة مريرة إذا قلت: إنني تنبأتُ أن ميسي سيصبح لاعباً عظيماً. لكنّ الصحيح هو أن بعض زملائي اعتقدوا أنه كان أكثر من لاعبٍ واعد، وأنه كان يصنع العجائب في الفريق B، وشيئاً فشيئاً بدأت ألتفت إليه أكثر في الحصص التدريبية.

كان ميسي في ذلك الوقت صورة مصغّرة لما سيصبح في النهاية صورةً نمطية: شاب متحفظ ومنطوٍ، لم يتفوه بكلمةٍ قط، كان خجولاً إلى درجة أنه

بدا خائفاً، لا تراه بمفرده أبداً، لكنه لم يكن أيضاً داخل أي احتفال صاخب، يضحك عندما يضحك الجميع. وإذا لم تخدعني ذاكرتي، فقد حاول التقليل من مواهبه، ومهاراته الزائدة، حتى لا يزعج زملاءه في الفريق؛ فهو متفوقٌ عليهم رغم صغر سنّه، نظراً لأنه كان جديداً، وكان عليه أن يحمل الكرات والمعدات إلى مكان التدريب. في الحقيقة كان يبدو فتى يافعاً وضعته الظروف في هيئة اليتيم المُستَغَل.

خلال تلك الجولة تشارك غرفة مع تشافي، ومهما كان من اتخذ هذا القرار، فهو يعرف حق المعرفة ما كان يفعله، فلا يمكنني التفكير في مضيف أفضل لربطه بالمجموعة والتحدث معه وتعريفه بقيم نادي برشلونة وامتياز اللعب للفريق الأول.

ألقي نظرة على المقالات التي كتبتها خلال تلك الجولة، وأرى أنني نادراً ما ذكرت ميسي، ولكن أيضاً المرة الوحيدة التي لعب فيها للفريق -ربع ساعة، في المباراة الثانية- سدّد وسجّل هدفاً ضد كاشيما أنتليرز في الملعب الوطني في طوكيو (النتيجة النهائية: 5-0). كان رونالدينيو هو النجم، و هو ما كتبته في تقريري عن المباراة لصحيفة إلـ باييس.

رونالدينيو بالطبع هو شيءٌ آخر؛ فاللاعب البرازيلي كان لديه بالفعل عددٌ كبير من المتابعين في البلاد. لكن تلك المباراة التي فرض سيطرته عليها ببضع حركات رائعة، و بلمسات صغيرة، وحضورٍ متألقٍ سخيّ طوال التسعين دقيقة، عزّزت فكرة أنه أكثر من مجرد لاعب أسطورة. في المرحلة الأخيرة من المباراة، على سبيل المثال، تضاعفت مشاركته إلى درجة أن المشجّعين على المدرجات ظلوا متأهّبين، يتوقعون أحد أهدافه المميزة، ولكن عندما أتيحت له الفرصة الأفضل بعد تلقي تمريرة من

لويس غارسيا متوجهاً نحو منطقة الجزاء، قرر أن يمرر الكرة إلى الشاب ميسي، كأنه يقول: «هاك، قم أنت بفعلها». حسناً، أتفق على أن تقريري كان بعض الشيء بغاية العرض فقط، خاصّة أنه ودّي، ولقد قمت بكتابته من طوكيو. اللافت في الأمر كان لفتة رونالدينيو، التي كررها ميسي لاحقاً في مباريات أخرى مع لاعبين آخرين. كلُّ اللاعبين العظماء يعرفون كيف يتصرفون بكرم، وقد يكون هذا من أول الأشياء التي تعلمها «ميسي الشاب» من الأسطورة البرازيلية. يبحث جميع اللاعبين العظماء في بداياتهم عن المخضرم في غرفة الملابس؛ فهو صوت الخبير الذي يكشف خبايا وأسرار الفريق، ويكشف الطقوس المتّبعة، وهو ذلك الشخص الذي يشرح الفلسفة الكامنة وراء لَعبه، وما هو السلوك الصحيح داخل الملعب. من المحتمل جداً أن يكون تشافي مُرشداً جيداً لميسي في تلك الرحلة، ولكن مهما بدا ذلك بعيداً، تولى رونالدينيو فوراً دور مرشده الكروي. قبل عامين، عندما كان ميسي يلعب في فرق الناشئين، كان سافيولا قد اهتم أيضاً بهذا الطفل الذي نال مديح الجميع، حتى أنه أعطاه قميصه. كانوا من الأرجنتين وهذا ما جمعهم، لكن سافيولا لم يكن لديه ما يلزم داخل الملعب ولا خارجه؛ ليكون بمثابة المرشد له، رونالدينيو - وديكو إلى حد ما- استوعبوا إمكانات الشاب فوراً، وميسي قد تحدّث بنفسه عن ذلك في موسم 2004-2005، بعد الجولة الآسيوية مباشرةً، كان لا يزال في الفريق (B)، لكنه تدرب مع الفريق الأول، وبين الحين والآخر منحه المدير بضع دقائق في الملعب معهم. كان يذهب مع زملائه في فريق (B) إلى زاوية أخرى من غرفة الملابس، حتى أصر رونالدينيو ذات يوم على أن يعطيه الخزانة الفارغة بجانبه، وبالتالي أصبح جزءاً من الدائرة المقربة. بالنسبة إلى ريكارد لم يكن لديه مشكلة في ذلك.

بحلول 9 آذار / مارس 2008، تاريخ آخر مباراة لرونالدينيو مع برشلونة، كان قد لعب جنباً إلى جنب مع ميسي مدة ثلاث سنوات ونصف السنة تقريباً. هدف ميسي الأول مع الفريق الأول جاء من تمريرة رونالدينيو، هدف لا يُنسى، يستحق فصلاً خاصاً به؛ كونه لحظةً خاصةً جداً، ذكرها رونالدينيو بعد سنوات حين قال: «كنت أبحث عنه طوال المباراة، أردته حقاً أن يسجل الهدف». بعد ذلك الهدف تكرر التواصل بين الطرفين، وفي كلا الاتجاهين، على الرغم من أن هذا التواصل كان دائماً تمريرةً من رونالدينيو وهدفاً من ميسي. إن مشاهدة تلك المباريات مجدداً تساعد على فهم هذا الرابط بشكل أفضل: الطريقة التي يجسّد بها رونالدينيو التواصل المبهج في اللعبة دون أن ينطق بكلمة واحدة، والقناعة المتواضعة بكونه الأفضل؛ وعلى هذا القيام بتلك التمريرة المؤدية إلى هدف. كان كلما سجل ميسي هدفاً، بحث بعينيه عن رونالدينيو للاحتفال، مشيراً إليه بنظرة يضمر فيها نوعاً من الاعتراف، صاعداً على ظهره في كل لعبة، لقد سنحت له الفرصة أن يتعلم من شخص فاقه في الخبرة. كانت تلك سنوات الابتسامات العريضة والشعر الطويل المتطاير، لشخص يبلغ من العمر عشرين عاماً، يدفع نفسه إلى أقصى الحدود مع كل حركة. ولكن بعد فوز رونالدينيو بالعديد من الألقاب وجائزة الكرة الذهبية، في آخر أيامه مع البلوغرانا، بدا وضع رونالدينيو غير مستقر، تضمن ذلك تغيبه وميله إلى العزلة؛ مما خيّب عزيمة الفريق، وفي النهاية عندما غادر البرازيلي، ورث ميسي القميص رقم 10، ومازال يرتديه حتى كتابة هذه السطور.

الإصابات

إن لم تكن مسبقاً في ملعب الكامب نو، ولم ترَ ميسي عندما يتعرض لحادث، ولا ينهض بعدها فوراً، فأنت لا تعرف معنى الصمت.

ميسي لا يمثّل، ولا يدّعي أبداً...! في البداية تأتي موجةٌ من الغضب، صوت صفير مئات الآلاف من الأمّهات والآباء ممن يرون أن ابنهم وقرّة أعينهم مُصاب، وينتظرون من الحكم أن يحقق العدالة، ويظهر بطاقةً آملين أنها حمراء؛ لأن إسقاط ميسي أرضاً يبدو دائماً أمراً شديد الوقع، سواء كانت تلك جريمة مع سبق الإصرار أم انتقاماً شخصياً في خضم اللحظة. وبعدها إن لم ينهض ابننا فوراً، إن كان ما يزال مستلقياً على الأرض متألماً، يخيّم صمتٌ مهول على الملعب محوّلاً إياه إلى فقاعةٍ ساكنة، عشرُ ثوانٍ أخرى يتحول الأمر إلى جنازةٍ رسميّة. قبل انقضاء دقيقة واحدة تبدأ الأرض في التحرك، تتعالى الأصوات بضجيج، بينما تتجه الأنظار إلى ردود أفعال اللاعبين الآخرين، وإلى الحكم الذي يستدعي الطاقم الطبي فوق أرض الملعب. أما من يشاهد التلفاز فلديه، على الأقل، لقطة مقرّبة للّاعب المصاب، يمكن من خلالها رؤية ما إذا كان ميسي يشتكي حقاً، أو إن كان هناك دماء. لكن هذا لا يحصل داخل الملعب، فالكل يتهامس، هناك،

بعضٌ قد يقومون بأداء بعض الصلوات لتنزل اللعنة على من قام بإصابة ميسي، وبعضٌ آخر يحسب النقاط التي سوف يخسرها الفريق؛ إن لم يلعب مدة شهر، أو شهرين، أو ثلاثة أشهر. إن كان أحدهم يستمع للراديو، يصبح الرسول الرسمي على المدرّجات مردّداً: يقولون إن الأمر لا يبدو شديد الخطورة، يقولون إن الوضع لا يبدو جيداً، ولا تنتهي التخمينات.

تنتشر الأخبار كالنار في الهشيم. وكل مشجّع يحمل داخله طبيباً يدلي برأيه، راحة مدة أسبوعين... لا شك في أن الإصابة عضليّة... وهذا يعني أنها في أوتار الركبة... سيوضع في غرفة الضغط العالي، وتجري التكهنات وفقاً لاحتياجات الفريق في تلك اللحظة بالذات. يقول المتفائل: «بمرور الوقت قد يكون تعلَّمَ كيف يسقط، لن يكون الأمر خطيراً»، أما المتشائم فيقول «هذه هي النهاية، سيخرج طوال الموسم».

بحكم الشخصية والتقاليد اعتاد مشجعو برشلونة العيش على شفا دراما نفسية، حتى علّمنا كرويف المدرب أن نتحلى بالإيمان، شعرنا بالمعاناة من أبسط الأشياء. كان ذلك موقفاً ورثته أجيال من المعجبين الذين، بحلول كانون أول / ديسمبر، سيقولون: «هذا العام لا توجد فرصة مرة أخرى»، أو متحلّين بقليل من التفاؤل يقولون: «قد لا يكون ذلك حتى شباط / فبراير». على الرغم من أن كل هذا قد أصبح مدفوناً الآن تحت طبقات من الثقة، فإننا ما زلنا نشعر بالقلق بشأن ميسي، كأننا عمَال في قصره الملكي، إذا رأيناه يتقيأ، أو يصرخ متألماً بعد الركض مسافةً طويلة، ننظر إليه جميعاً بأشدّ الاهتمام، أما إذا لمس ساقه في أثناء المباراة، أو مشى فترة طويلة محدقاً في الأرض، أو بدا عصبياً، فإننا نعاني من أجله، ولو استطعنا لأخذنا ذلك الألم ووزعناه على جميع المشجعين، حتى يتمكن

من مواصلة اللعب. نعاني من أجله؛ لأننا رأيناه يصاب من قبل، ولم يكن الأمر سهلاً أبداً.

ومع ذلك لم ير أحد تقريباً أول إصابة لميسي، أول كسر له. كما أوضح ألبرت مارتن فيدال في تقرير لمجلة ليبيرو، عندما كان ميسي في الثالثة عشرة من عمره، انقطع وتره الشظوي في مباراة ضد فريق تورتوسا إيبري إيسكولا إسبورتيفا. كانت هذه هي مباراته الثانية لفريق بي جونيور بعد انتظاره عدة أسابيع لينتقل من الأرجنتين. في الدقيقة الأولى - يظهر ذلك في مقطع فيديو- تسلم الشاب ميسي الكرة، حاول المراوغة لكنه لم يتمكن من الحفاظ عليها، عند رمية التماس ذهب لاعب من الفريق الآخر لرمي الكرة بعيداً عن منطقة دفاعه، وعندما كان على وشك القيام بذلك، وضع ميسي بشكل غير متوقع قدمه في طريقه، وتلقى ضربة قدم الخصم بشكلٍ كامل. ذلك اللاعب مارك بايغيس لم يدرك إلا بعد سنوات عندما صدر تقرير فيدال، أنه قد كسر ساق ليو ميسي. كما أنه لم يدرك بالطبع أن تصرفه العشوائي كاد أن يغير مجرى التاريخ الكروي كما نعرفه الآن. ظل ميسي مجبّس الساق وعلى عكازين مدة ثلاثة أشهر. وقتئذٍ كان يعيش هو وعائلته في شقة، قدمها النادي في منطقة «ليس كورتس» في المدينة، لكن والدته وإخوته عادوا إلى «روزاريو»؛ لأنهم لم يتمكنوا من التكيف مع الحياة في برشلونة. لم يكن والده مقتنعاً إلى حد كبير أيضاً، وفي أحد الأيام جلس مع ابنه - الذي كان يشعر بالملل؛ لأنه لم يكن يلعب- وسأله إذا كان يريد حزم حقائبه والعودة إلى المنزل؟ كانت تكفي كلمة من ميسي حتى يشتري الأب التذاكر...! «لا يا أبي، أريد أن أنجح في برشلونة» هذا ما أجاب به ميسي، وقد كان واضحاً بهذا الشأن.

ميسي يعاني كثيراً عندما يتعرض للإصابة، أول إصابة كبيرة في مسيرته المهنية كانت عضلية، وقد حدث ذلك في 7 آذار / مارس 2006 خلال مباراة في دوري أبطال أوروبا ضد تشيلسي، بقيادة جوزيه مورينيو، وقد أُصيبت العضلة الفخذية ذات الرأسين في ساقه اليمنى. بقي الوضع سيئاً بعد شهرين ونصف، مما يعني: أنه لن يتمكّن من اللّعب في نهائي باريس. المشهد المحزن لميسي وهو يحتضن فرانك ريكارد في طريقه إلى غرفة الملابس قد تكرر أيضاً بعد ذلك بعامين، آذار / مارس 2008، في مباراة أخرى في دوري أبطال أوروبا، ضد غلاسكو سلتيك. في الوقت ذاته عانى ميسي من إصابات عضلية أخرى في الدوري ومع المنتخب الوطني، لكن هذه الإصابة تحديداً كانت مؤلمة. كانت هناك دموعٌ لا يمكن السيطرة عليها، ومشاعر عجز؛ لأنه قبل ثلاثة أشهر تعرض لإصابة مشابهة جداً ضد فالنسيا. هذه هي اللحظات التي يعم فيها الصمت في الكامب نو، ويبدأ المشجعون في المعاناة.

علاوةً على ذلك، بدأت كل تلك الإصابات تخلق شعوراً بوجود خطبٍ ما. بدأت وسائل الإعلام في التكهن، متسائلةً: ما إذا كانت تلك العضلات الضعيفة نتيجة علاج نمو هرموني خاطئ؟ فرد الأطباء: أنهم لم يفعلوا ذلك، وجادلوا بأنه يجب أن يتعامل مع جسده بشكل أفضل. كما قالوا: إنه يجب أن يعرف إلى أي مدى يستطيع أو لا يستطيع أن يدفع هذا الجسد. الحقيقة هي أن استلام بيب غوارديولا مدرباً عام 2008، حقّق له المعجزات مدة عامين، بدءاً من تغيير النظام الغذائي، كتحديد كميّات أقل من البيتزا والميلانيس نابوليتانا الأرجنتيني الضخم، مع اللحم الدهني المقلي مع الخبز.

في عام 2013، وبعد عامٍ تعرض فيه لأربع إصابات، وضع ميسي نفسه بين يدي خبير التغذية الإيطالي جوليانو بوسر الذي نصح مجدداً بتغيير جذري في نظامه الغذائي بهدف الحصول على أفضل النتائج من كل عضلة، وفي نفس الوقت منع الإصابة. اشترطت الحمية العناية في اختيار ما يأكله، نظامٌ غذائي يعتمد على مكونات كاملة غير مصنّعة مثل زيت الزيتون، والفواكه الموسمية، والأسماك الطازجة، وكلما استهلك وقتاً أقصر في التحضير، كان ذلك أفضل. منذ ذلك الحين تعرّض ميسي للعديد من الإصابات، وكان أسوؤها في أيلول، سبتمبر 2015، مشاكل في الأربطة أبعدته شهرين، لكن لم يكن أي منها خطيراً مثل تلك التي تعرض لها قبل عشر سنوات... دعونا ننقر على الخشب!

بصرف النظر عن حالته البدنية، فإن بعض هذه الإصابات ناتجة عن أخطاء ارتكبها خصوم لا يقبلون دائماً بقدرته على المراوغة، أو ممن يخطئون في التدخل وقطع الكرة. في أيلول / سبتمبر 2010، على سبيل المثال، في مباراة ضد أتلتيكو مدريد، ضرب المدافع التشيكي، توماس أوفالوسي، كاحل ميسي الأيمن بشدة - بطاقة حمراء مباشرةً- مما أدى إلى تلف الرباط الجانبي الأنسي. أبعده ذلك عن اللّعب مدّة أسبوعين، وانتشرت صور كاحله المنتفخة مثل كرة التنس حول العالم. من الغريب - أو ربما لا- أن يكون لاعبو ريال مدريد بين دائرة المعتدين المعتادين على ميسي، خاصة في الفترة التي كان فيها البرتغالي جوزيه مورينيو مدرباً للفريق الملكي. صحيحٌ أن المنافسة شديدة، وأن ميسي عادةً ما يلعب بشكل جيد للغاية ضد الميرنغي - فقط اسأل إيكر كاسياس، حارس مرماهم السابق، الذي كان يعض شفته، وينظر إلى السماء، كلما اضطر

إلى جمع الكرة من الجزء الخلفي من الشبكة- لكننا شهدنا في كثير من الأحيان العدائية التي يبدو أنها تنبع من الإحباط الذاتي. ولقد ترك مارسيلو وبيبي بصماتهم، وطُرد سيرجيو راموس مرتين بسبب تدخلات شديدة، حملت طابع الغضب على ميسي.

في الوقت الحاضر، لحظة كتابة هذه السطور، مع ميسي البالغ من العمر واحداً وثلاثين عاماً، كل مباراة لا يتمكن من لعبها تكون مدعاةً للندم في عالم كرة القدم. لحظات لن نتعافى منها أبداَ، فإصاباته هي تذكار كروي مروّع، يذكرنا بأن ميسي يوماً ما لن يلعب مرّةً أخرى، وأننا سنبحث عنه على أرض الملعب- تماماً كما يبحث عنه رفاقه، ربما بشكل عفويّ، عندما يكون مصاباً- وبأنه لن يكون هناك بعد فترة. الجميع سوف يشعر بهذا الفقد الرهيب، حتى الذين جعلهم يبكون طويلاً. حسناً، حسناً، لا داعي للمبالغة، أنا فقط أستعدُّ ذهنياً لليوم الذي لن يلعب فيه ميسي مرةً أخرى.

غير المُتخيّل

قبل ميسي لم نُفكّر قط في الأرقام القياسيّة، ولا في الإحصائيات، ولا في تفاصيل كرة القدم اليومية المُعبَّر عنها بالأرقام، كل ذلك لم يحظَ بكثير من الاهتمام، وعلى عكس ما كنّا قد اعتدنا عليه، فضّلنا أن نكون متحمسين لما لم يتم فعله مطلقاً من قبل، لقد أصبحنا نقدس الإحصائيات.

أتى هذا الهوس بالإحصائيات من الولايات المتحدة، حيث يُحسب ناتج نجوم الرياضة والفرق الرياضيّة على أمل غريب من نوعه في إمكانية التنبؤ بالمستقبل، وهناك تفسير مغاير: في موسم دوري البيسبول العادي يلعب الفريق مئة واثنتين وستين مباراة في ستة أشهر؛ أي بمعدل ست مباريات في الأسبوع، وفي الدوري الأميركي للمحترفين يتعين على فريق كرة السلة أن يلعب ما لا يقل عن اثنتين وثمانين مباراة في الموسم، و مئة وعشر مباريات إذا وصل إلى النهائي. هناك عددٌ قليل من المتابعين ممن لديهم الوقت لمواكبة كل ذلك، تُراجع المراكز في جدول الدوري أكثر من مرة في اليوم، ووفقاً للمناطق الزمنية المختلفة لكل بلد، وفي نهاية بطولة الدوري، تكون الفرق التي تصعد إلى القمة، هي تلك التي حافظت على إيقاعٍ أكثر انتظاماً.

الأرقام والإحصائيات هي الشيء غير المُتخيّل في كرة القدم، الآثار الباردة وغير الشخصية التي حاولت بعد سنوات تقديم تفسيرٍ للتاريخ، تفسير ما حدث حقاً، ومع ذلك فهذه ليست الحقيقة الوحيدة، على سبيل المثال، هل يعرف أحد كيف انتهت المباراة ضد خيتافي عندما سجل ميسي الهدف؟ أنا آسف: أقصد ذلك الهدف المارادونيّ! كلّ حركة محفورةٌ في أذهاننا مع تلك اللقطة عندما يخرج حارس المرمى، يركض صامويل إيتو بجانبه متتبعاً الحركة، يضع يديه على رأسه في دهشة، الاحتفال مع باقي أعضاء الفريق... قليلون هم القادرون على تذكّر أن النتيجة النهائيّة كانت 5-2، مَن سجل الأهداف الأخرى؟ آه، ذلك لغزٌ على مايبدو. كانت المباراة في نصف نهائي كأس الملك، ولا يتذكر الناس سوى القليل من مباراة الإياب، بعد ثلاثة أسابيع خسر برشلونة على أرض خيتافي 4-0 وتمّ إقصاؤه. كان ريكارد قد رحل عن ميسي ليستريح في برشلونة، وكانت ليلة كارثية على الجماهير. في سجل الأرقام الرّتيب، يتمّ دفن هدف ميسي كشيءٍ عديم الأهميّة. يقول ليبرون جيمس وهو لاعبٌ عظيم في الدوري الاميركي للمحترفين: إن الأرقام القياسيّة موجودةٌ فقط ليتمّ تحطيمها. أتذكّر بشكل طفيف: أنه عندما أشرف على فريق الأحلام، اعتاد يوهان كرويف أن يقول بنوعٍ من المزاح، بأن الإحصائيّات موجودة ليتمّ دحضها. في الواقع تظهر أهميّة هذه الأرقام فقط عندما يقوم أحدٌ ما بتحطيمها، وهو أمرٌ آخر من مزايا ميسي الكروية. بعيداً عن البصمة الموثّقة، أودُّ أن أعتقد أن بعض اللاعبين يكسبون مكانةً بارزة من خلال هذه الإحصائيّات، وعندما يفقدون بريقهم في يوم من الأيام، قد يعودون ليصبحوا محور الاهتمام مجدداً... تيلمو زارا، على سبيل المثال، المهاجم الأسطوري

لأتلتيك بلباو، الذي بقي على رأس الهدافين التاريخيين للدوري الإسباني برصيد مئتين وواحد وخمسين هدفاً، لما يقارب ستين عاماً، حتى تجاوز ميسي هذا الرقم في 2014. قبل ذلك، تخطّى الأرجنتيني رصيد سيزار رودريغيز ألفاريز الهداف التاريخي الخاص بنادي برشلونة سابقاً (مئتان واثنان وثلاثون هدفاً) الذي بقي صامداً منذ عام 1955.

كما انتزع ميسي اثنين من الأرقام القياسية الخاصة بالألماني غيرد مولر، المُلقب بالـ «توربيدو»، لاعب بايرن ميونيخ في السبعينيات.

أولها في 2012 عندما تجاوز رصيده السّنوي من الأهداف: سجل مولر خمسة وثمانين هدفاً في 1972، بينما حقّق ميسي واحداً وتسعين هدفاً. وفي وقت لاحق، في كانون ثان / يناير 2018، تفوّق عليه في عدد الأهداف التي سجلها في دوري الدرجة الأولى: التوربيدو توقف عند ثلاثمئة وخمسة وستين في الدوري الألماني، وبهدفٍ من ركلةٍ حرّة ضد ريال سوسيداد، وصل ميسي إلى ثلاثمئة وستة وستين في الدوري الإسباني. في نهاية الموسم كان الرقم ثلاثمئة وثلاثة وثمانين، ومنذ ذلك الحين وصل العدد إلى أربعمئة وخمسة عشر (نيسان / أبريل 2019). والحياة تستمر...

أذكر هذه الأرقام، التي هي محض مجموعة صغيرة مما حصل عليه ميسي، ولا يمكنني التوقف عن التثاؤب من شدّة الملل. قد يكون البحث عن هذه الأرقام مصدر استفزازٍ لبعض مشجعي كرة القدم، وسيكون هناك دائماً احتمال آخر، إحصائيّة أُخرى غامضة يجب التغلّب عليها، شخصياً أو كمجموعة.

عندما أوشك على الاحتفال بعيد ميلاده الخمسين، كتب الكاتب إنريكي فيلا ماتاس، عضوٌ في نادي برشلونة منذ ولادته، مقالاً تحدّث فيه عن كرهه لتلك الأرقام وعن «الهيبة غير المبررة والعبثيّة» التي نمنحها لها، كان يصف الملل الذي يثيره أحياناً احتفالٌ عشوائي آخر. في بداية عام 2018، سجّل ميسي الهدف رقم أربعة آلاف في المباريات التنافسيّة التي أُجريت على ملعب الكامب نو، حسناً...عظيم، بعد ثلاثة أيام، سجّل لويس سواريز الرقم أربعة آلاف وواحد ضد ديبورتيفو ألافيس، ورغم أنه كان هدفاً حاسماً؛ لأنه أعاد المنافسة، فإنه حُرِم هالة المجد.

لا أنفي اهتمامي بين الحين والآخر بتلك الأرقام، أو الذكرى السنوية، أو الأرقام التقريبيّة، لكنّني أُفضّلها عندما تكون مصحوبة بحركة رائعة، عندما يكون كسر رقمٍ قياسي مجرّد إضافة للحدث، ومن الأمثلة الرائعة على ذلك هدف ميسي رقم خمسمئة في مباراة تنافسيّة، الذي سَجّله في 23 نيسان / أبريل 2017، في مكان لا يقل أهميّة عن سانتياغو برنابيو، وفي واحدة من أكثر الليالي المحفوظة في الذّاكرة من السنوات الأخيرة لمُحبّي البلوغرانا، كان التعادل قائماً بين برشلونة ومدريد 2-2، أنا متأكد من أنك تتذكر اللحظة، إنها هي الدقيقة الثانية والتسعون، ويبدو كلّ شيء موقعاً ومختوماً عندما بدأ سيرجي روبرتو الركض من خط الوسط، لا أحد يوقفه، مُمهّداً الطريق على الطرف اليساري لأندريه جوميز، يتوقف البرتغالي، ويُمرّر تمريرة قصيرة إلى جوردي ألبا الذي يتسابق فوق أرضية الملعب، ويُمرّر ألبا الكرة بلمسة أولى، ثم يظهر ميسي من العدم، يبدو العالم فجأة كأنه يتوقف عُشر الثانية، منتظراً أن يُعيد الكون تنظيم نفسه؛ ليرجع كل شيء إلى مكانه الصحيح، ويُسدّد ميسي داخل منطقة الجزاء،

مُجتازاً غابةً من الأرجل، تسديدة في زاوية المرمى، والآن النتيجة 2-3. أشكّ فيما إذا كان ميسي يُفكر وقتئذٍ: أنّه كان يُسجّل الهدف رقم خمسمئة في مسيرته، على الأقل ليس عندما سدّد الكرة، ولكن بعد ذلك مباشرة، للاحتفال بها، أشار بطريقة بدت كأنما قد حُضر لها مُسبقاً، وكانت تلك حركةً مميزةً من شأنها أن تكون على الصفحات الأولى لجميع الصّحف الصباحيّة؛ إذ لخّصت كل ما حملته المباراة من عاطفة، إضافةً لحضوره المميز والقدير: ميسي يخلع قميصه، ويظهره على أرض البرنابيو هادئاً وفخوراً، كأنه يقول: «أنا الرقم 10».

في المؤتمر الصحفي بعد المباراة، علّق مدرّبه لويس إنريكي: «ميسي هو الأساس، حتى إن كان في المنزل يتناول العشاء».

من بين سلسلة الصّور الأكثر تأثيراً في تلك الليلة، بعد الهدف مباشرةً، صورةٌ تُظهِرُ كريستيانو رونالدو يهزّ رأسه بغضب، وفي هذه اللحظة بدأت السجلات والإحصائيّات تُثير اهتمامي إلى حدٍّ ما. على مدى سنوات، لجأ أولئك الذين يدافعون عن CR7 إلى الأرقام لمقارنته بميسي، ولم يدركوا: أن كرة القدم أكثر من ذلك بكثير، حتى إنها تتجاوز المنافسة بين علامتين تجاريتين، نايكي وأديداس. كما قال جون كارلين في El País، فإن كريستيانو هو قلب الهجوم - «أفضل لاعب رقم 9 في العالم»- وهو ما أظهره في المرحلة الأخيرة من حياته المهنية، لكن كارلين يقول أيضاً: إنه من الجيد له إن تعلّم الضحك على نفسه؛ «لأن 9 لن يصل أبداً إلى 10».

ساحة الصراع الأولى لهذين اللاعبين هي الكرة الذهبيّة، كلاهما فاز بها خمس مرات؛ في الواقع تقاسموها فيما بينهم على مدار العقد من 2008 إلى 2017. يجب أن نعود إلى 2007 للعثور على فائز مختلف، البرازيلي

كاكا (وفي تلك المناسبة البعيدة حلَّ كريستيانو في المركز الثاني وميسي ثالثاً). توقف هذا الصّراع فقط في 2018 بسبب الظهور غير المتوقع للوكا مودريتش، الذي حمل الكأس تقديراً لحضوره الحاسم بفوز ريال مدريد في دوري أبطال أوروبا 2017–2018، وفي تأهّل كرواتيا إلى نهائي كأس العالم في روسيا، على الرغم من أن مودريتش كان يتمتّع بمزايا واضحة، فإن ميسي كان بلا شك حظيَ بموسم رائع؛ فقد فاز بالحذاء الذهبي كأفضل هداف في أوروبا، وقدّم أكبر عدد من التمريرات الحاسمة في الدوري الإسباني، من المحتمل، مرة أخرى، أنه تعرض لعقوبات مفرطة بسبب الأداء السيّئ للمنتخب الأرجنتيني.

تجاهُل هذه الفترة الفاصلة شبه العشوائيّة مع مودريتش، طوال عشر سنواتٍ من هيمنة ميسي وكريستيانو، جعل التنافس بينهما محطّ تركيز وسائل الإعلام بشكل متزايد، وكلاهما استمرّ في تحطيم الأرقام القياسيّة، علاوةً على ذلك، لا يزال هناك العديد من الأرقام التي يمكن أن تتغيّر بينما يواصل كلاهما اللعب. متصدر ترتيب هدافي دوري أبطال أوروبا عبر التاريخ: في عام 2015 تجاوز كلاهما الرقم القياسي التاريخي لراؤول غونزاليس بسبعة وسبعين هدفاً، وحالياً (أيار / مايو 2019) سجّل كريستيانو مئة وستة وعشرين هدفاً، وميسي مئة واثني عشر، كلاهما سجّل ثماني هاتريك في دوري النخبة الأوروبية، وفي الدوري الإسباني سجل ميسي ثلاثة أهداف في ثلاث وثلاثين مناسبة، وكريستيانو في أربع وثلاثين.

هل الأمر واضحٌ الآن؟ ها أنا ذا أتثاءب مرة أُخرى، وهذا بدون أي ذِكرٍ لمنتخباتهم الوطنية، الأرجنتين والبرتغال. بدلاً من البحث في أرشيفات هذه المنافسة الشخصيّة للحصول على مزيد من البيانات لصالح أحدهما،

ربما يجدر بنا أن نتذكّر: أن ميسي أصغر قليلاً، وقد يحظى بمزيد من الوقت للّعب على المستوى الدولي: سنتان أو ثلاث، ربما خمس سنوات، كل ما أتمناه الآن هو الانتهاء من لعبة الأرقام القياسيّة والتأكد من أن الناس سيتوقفون عن ذكرها إلى الأبد... آمين.

ابتسامات ودموع

لقد تبعته الشهرة في سنٍّ مُبكّرةٍ جداً، الجميع رأى أو أراد رؤية لاعب كرة القدم الذي سجل أربعة أو خمسة أهداف في مباراة واحدة، غالباً ضد خصومٍ أكبر سنّاً.

أيّ شخص رآه يلعب، ناهيك عن أيّ شخص قام بتدريبه، حصل على حصّةٍ كبيرة من هذا الامتياز، وتجرّأ على التنبّؤ بمستقبله. لقد كان متميزاً في نوادٍ مختلفة، وعندما عرضت القناة التلفزيونية الكاتالونية ثلاثاً وثلاثين مباراة لبرشلونة بعد ظُهر يوم السبت، ارتفعت نسبة المشاهدة إلى حد لا يُصدّق، وذلك بسببه، فليس من المُستغرب أننا لا نتذكّر ظهور ميسي مرّةً واحدةً فقط، كما هو الحال مع لاعبين آخرين، بل عدّة مرات. في الواقع، كلما قلت: إن مباراته الأولى مع فريق برشلونة الأول كانت ضد بورتو، في مباراة ودّية بقيادة فرانك ريكارد، صحّح لي الكثير من الناس مؤكدين بأنه خطأ، كان ذلك في مباراة ما قبل الموسم في كأس غامبر، على أرض كامب نو ضد يوفنتوس. ومع ذلك، كان هذا ما يمكن تسميته ظهوراً مُلفّقاً، لا يمكن الوثوق مطلقاً بالذاكرة؛ فهي تختار طبيعياً أحد الأيام الأولى التي تميّز فيها ميسي، ونال إعجابنا جميعاً؛ كانت مناسبة احتفالية رائعة بدت

كأنّها تاريخيّة، ويمكن القول: إن ذلك أمرٌ مقبول؛ لأن ذلك اليوم كان اليوم الذي ظهر فيه أول مرة في التشكيلة الأساسيّة، ومنذ الدقيقة الأولى، مع المباراة التي كانت أمامه مثل صفحة فارغة، كان قادراً على عرض عيّنة مما يملك من مهارات رائعة. وأظن أنكم تتذكرون تاريخ ذلك: 24 آب/ أغسطس 2005.

يجب أن أُضيف: أن الظّروف حوّلت المباراة إلى مسابقة من الابتسامات والدموع. لكن، أولاً دعونا نعود إلى الوراء أسبوعاً، إلى 17 آب، أغسطس، عندما ظهر أول مرة في المنتخب الأرجنتيني، ولم تَسر الأمور على ما يُرام وقتئذٍ.

لَعبت وقتئذٍ الأرجنتين مباراةً ودية ضدَّ المجر، كان خوسيه بيكرمان، المدير الفني، ينوي تجربة عددٍ من اللاعبين الجدد، لكنَّ الجميع عرف أنه يريد منح ميسي أول ظهور له. كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً فقط، وبذلك فهو أصغر لاعبٍ يبدأ مع الفريق الأساسي، كانت المباراة قائمة: الأرجنتين متقدّم بنتيجة 1-2، وفي الدقيقة الرابعة والستين نزل ميسي إلى أرض الملعب، مُرتدياً الرقم 18، ليحلّ محلّ المهاجم ليساندرو لوبيز، إن استطعت ألقِ نظرة على الصور، وإن أمكن انظر إليها أثناء الاستماعِ إلى موسيقى مرعبة. يخرج ميسي، ويقف بالقرب من خط المنتصف، يتسلم الكرة فوراً، ويُمرّرها إلى داليساندرو، الذي يفقد الكرة، ليستعيدها بعد ثوانٍ قليلة أحد اللّاعبين، تعود الكرة إلى ميسي مرة أخرى، فيجري بها متقدّماً إلى الأمام، يتبعه لاعب خط الوسط المجري، فانشاك، يمسك بقميصه ويهاجمه، يحاول ميسي أن يخلّص نفسه، ويتوقف، ويلوّح بذراعيه، ويسقط المجريّ أرضاً كما لو كان قد ضُرب ضربةً قاتلة بالمرفق

في وجهه، ويبدأ بلمس وجهه للتأكد إذا ما تعرّض للنزف. الحكم الألماني، الذي كان قريباً من الحادثة، بدون تفكير يُظهر لميسي بطاقةً حمراء، لا يمكن تصديق ذلك، لابدّ أنها مزحة، احتشد اللاعبون الأرجنتينيون حول الحكم، وبدا الأمر كما لو أنّهم كانوا يقولون: «يا غبي، ألا ترى أنك طردت بشكل غير عادل الشاب الذي سيكون أفضل لاعب في التّاريخ؟ هل تريد حقاً تلك الوصمة على دفتر ملاحظاتك؟» في غضون ذلك، ميسي واقفٌ لا يفعل شيئاً، تظهر عليه الدّهشة، ينظر إلى الحكم من بعيد نظرة إحباط وخيبة، ويسحب قميصه من سرواله القصير. داليساندرو، الذي لعب لصالح فولفسبورغ وقتئذٍ فتحدّث قليلاً من الألمانية، تقدّم مواجهاً الحكم، وقال: «لماذا تريد أن تستحوذ على الأضواء؟ ألا تعلم أنها مباراة اللاعب الأولى؟» نظراً لأنه لا يمكن فعل أي شيء، يمشي ميسي ببطء ويأس نحو خط التّماس. كم من الوقت مضى على كونه في الملعب؟ سبع وأربعون ثانية؟ يا له من ظلمٍ فادح!! في نهاية المباراة، عند عودة باقي الفريق إلى غرفة الملابس، كان ميسي هناك باكياً وفي حالةٍ من الحزن.

يبدو هذا اليوم كأنه خطأ فادح، يكاد يكون حكايةً للترفيه عن الأصدقاء في أثناء تناول مشروبات ما بعد العشاء، ولكن في ذلك الوقت قلبت تلك الحادثة عالم اللاعب رأساً على عقب، حتى الخصم فانشاك قال لاحقاً: إن البطاقة الحمراء مُبالغٌ فيها للغاية، أما بالنسبة للحكم، فلا يمكنني أن أُقرّر ما إذا كنت سأذكر اسمه وأفضح هويته، أم أُبقي هويّته سريّة، ما هو الأفضل؟ معاقبته بعدم الكشف عن هويته أو ربط اسمه باسم ميسي؟ أم فضحه بالكامل كتعويضٍ عن رد فعله الصّارخ المتغطرس المبالغ فيه؟ في العام السابق، عيّنه الاتحاد الأوروبي لكرة القدم أفضل حكم في العالم،

كان اسمه ماركوس ميرك - إليك هويته- طبيب أسنان حسب المهنة، ويُظهر سجلّه الحافل: أنه كان نوعاً ما شديد الهوس بالبطاقة الحمراء.

بعد سبعة أيام، خرج ميسي للّعب في كأس جوان غامبر ضد يوفنتوس، لكن ينبغي لنا ألّا ننسى أنه كان يلعب أيضاً ضد القدر تلك اللّيلة، كما لو أن الأداء الجيد من شأنه أن يمحو الوَقع السيّئ الذي خلّفه أوّل ظهورٍ له مع الأرجنتين. نعلم أيضاً أنّه وقتئذٍ: قد استُدرج أعضاء النادي إلى غامبر في احتمالية لرؤية لاعبين جدد في الموسم المقبل، كانت المباراة الأولى في الصيف وقتاً لتحيّة المشجعين في المقاعد المجاورة، التعرّف إلى الصفقات الجديدة والبدء في تقييم الإمكانات المستقبلية.

ظهيرة ذلك اليوم، ارتدى ميسي الرقم 30، كما فعل طوال الموسم، يُعتبر ذلك وقتئذٍ نوعاً من التسلسل، فقد كان رونالدينيو هو رقم 10 ورقم 20 هو ديكو، في الدقيقة السادسة قام بأول تحرّك له على اليمين، مع لاعبٍ لمراقبته، بيسوتو. وعلى الأرض، قبل أن يضع عرضية خطرة، التي لم يستطع لارسون تحويلها إلى هدف، تصاعد صوتٌ في ملعب كامب نو تلقائياً: «أوه!». وقال المعلّق على قناة راي أونو: «أظهر ميسي بالفعل أنه رقماً أساسياً». أدرك لاعبو يوفنتوس، الذين كانوا لا يزالون يتحركون بوتيرة مباريات ما قبل الموسم، أن الشاب كان يركض حولهم، وبدؤوا يهاجمونه بشراسة. بحلول الدقيقة الخامسة والثلاثين، تلقى الإيطاليون ثلاث بطاقات صفراء، وتم تحذير اثنين آخرين، أدت عدوانيتهم إلى استحواذ ميسي على الكرة وعليهم، كان يلعب بِنَهم، شخصيات مثل: كانافارو، وديل بييرو، وإبراهيموفيتش، بدؤوا التفكير ملياً بهذه الطاقة المستعرة، أو التي قد تبدو خارجةً عن نطاق السيطرة. بينما ساعد زملاؤه ببساطة في تمرير الكرة له،

هتف الحشد لكل حركةٍ وكل لمسةٍ وكل التفاف، ميسي بالكاد سدّد، إلا أنه في الدقيقة السادسة والستين أرسل تمريرة طويلة بطريقة إنييستا أدت إلى التعادل.

قام فابيو كابيلو بتدريب فريق يوفنتوس، وكشف لاحقاً: أنه في منتصف المباراة، بعد مشاهدة سلسلة تمريرات ميسي، انتقل إلى ريكارد، وأخبره أنه يُريد التعاقد مع ميسي على سبيل الإعارة.

في مرحلة ما من الشوط الثاني، بدأ الكامب نو يهتف: «ميسي، ميسي، ميسي...» للاحتفاء بذلك العرض الذي افتقر إلى الهدف فقط. وأتصور أنه ليس من المعتاد أن يُثير لاعبٌ قد خطا خطواته الأولى في الملعب حماس الجمهور بهذا الشكل. كافأه ريكارد بإخراجه في الدقيقة الأخيرة من المباراة، ولدى مغادرته أرض الملعب، صفّق له المشجعون، مرحبين بولادة نجم جديد.

تضمّن طلب إعارة كابيلو شكلاً من أشكال البيروقراطية: ميسي لم يحصل بعد على الجنسية الإسبانية، ولا يمكنه اللعب للفريق الأول؛ حصّة الفريق من اللاعبين الأجانب كانت قد اكتملت. في اللحظة التي جُهّزت فيها أوراقه بعد شهر، ضمه ريكارد إلى التشكيلة في مباراة دوري أبطال أوروبا ضد أودينيزي، وبدأ يظهر تدريجياً على ورقة تشكيلة الفريق، وغالباً ما حل محل جيولي، بعد أسابيع قليلة، على سبيل المثال، كان ميسي في التشكيلة الأساسية في برنابيو، في مباراة بالدوري فاز فيها برشلونة بنتيجة 3-0، بعرض باهر لرونالدينيو، لاقى بعبقريته استحسان حتى جماهير ريال مدريد. فريقهم من النجوم، مثل: زيدان، وروبرتو كارلوس، ورونالدو الظاهرة (فينومينو)، وقفوا متفرّجين، كانت الأوقات تسير مسار التغيير.

جدد نادي برشلونة أيضاً عقد ميسي مرتين خلال تلك الأشهر، مع إعادة تعديله في ضوء توقعاتهم، والنظر في وضعه كلاعب يتمتع بحقّ مطلق للحصول على مكان في الفريق الأول. ربما هذا هو السبب في أن مرّتين من المرّات التي قد ظهر فيها كانت غير ملحوظة، رغم كونهما ظهورين حاسمين في ذلك الوقت، فإن أحداً لم يُلاحظهما: كان ظهوره الرسمي الأول في الدوري، في تشرين أول / أكتوبر 2004، في مونتجويك ضد إسبانيول، أما الثاني فقد كان أكثر أهمّية؛ تسجيل هدفه الأول لصالح الفريق الأساسي، كان ذلك في 1 أيار / مايو 2005 - عيد العمال- وكانوا يلعبون ضد الباسيتي في كامب نو، كان برشلونة على بعد مباراتين من الفوز بالدوري الإسباني، وتقدم 1-0، مع تبقي أربع دقائق فقط على صافرة النهاية، دخل ميسي بدلاً من إيتو، وكان من الواضح فوراً: أنه مشتعل حماسة. مفعمٌ بالطاقة كعادته، رونالدينيو بدأ باللعب مُمهداً له، حصل على الكرة، مررها فوق الدفاع؛ ليُسجل ميسي بتسديدة لطيفة من فوق الحارس، ألغى الحكم الهدف بداعي التسلّل، على الرغم من أنه لم يكن كذلك، لكن كل ذلك كان للأفضل؛ لأنه بعد دقيقة واحدة تلقّى ميسي تمريرة من ديكو، لعبها إلى رونالدينيو، الذي أعاد الكرة بنفس التمريرة السابقة، وسجل ميسي مرّة أخرى بتسديدة لطيفة فوق حارس المرمى، هذه المرة احتُسب الهدف، وهو هدف حقيقي احتفل به الجميع كما لو أنهم قد فتحوا زجاجة شمبانيا لن تفرغ أبداً، كما نرى: كان على ميسي أن يُسجّل هدفه الأوّل مرّتين. منذ البداية تحدّى إحدى القواعد الذهبية لكرة القدم: لن تكون هناك حركتان متشابهتان، حسناً، في مملكته، ذلك أمرٌ ممكنُ الحدوث.

الخيال

مكتبة
t.me/soramnqraa

نشأ العديد من المعجبين مع ليو ميسي وروايات هاري بوتر، في عام 1997، كان ميسي في العاشرة من عمره وهاري بوتر في الحادية عشرة، وكلاهما كان يصنع المعجزات، بعض القرّاء نضجوا معهما، موسماً تلو الآخر، كتاباً تلو الآخر، إلى حين أصبحوا بالغين برفقته. قد يعتقد كثيرون إن ألقوا نظرةٍ إلى الماضي: أن رحلة ميسي مع برشلونة، يمكن أن تكون أيضاً نوعاً من قصص الخيال المتمحورة حول بطلٍ خارق، فتىً متمتّع بلمسة إلهية بعد نشأته مع فرق الناشئين، أو كونه جزءاً مما يشبه الهوغورتس الذي يُعرف باسم La Masia، لا ماسيا، فهو الذي اجتاز اختبارات مختلفة، مصحوباً دائماً بمجموعة من الأصدقاء والمدربين الذين أعدّوه لمواجهة تحدّيات شديدة التعقيد.

بطبيعة الحال، خلال فترة مطوّلة كان سرد الأحداث يتّجه نحو نهاية سعيدة، في هذه المرحلة (نيسان / أبريل 2019)، لعب ميسي ثلاثة وثلاثين نهائياً، وفاز بثلاثة وعشرين منها. إذا كنت تريد وصف تطوره؛ فيجب عليك أحياناً الاعتماد على مهاراتك في إلقاء القصص مبتعداً عن الحقائق الدقيقة من الإحصائيّات والأرقام والسجلات؛ إذ أن ميسي هكذا...! كائن

مختلف يدعو إلى اعتماد لغةٍ جديدة، خطابٍ مختلف، وابتكاراتٍ سرديّة تتناسب مع أسلوبه المبتكر في اللعب.

عندما أخبرت أصدقائي: أنني أكتب هذه الصفحات، تساءل كثيرون: «هل قابلته؟ هل التقيت به؟» الجواب الأول هو بالطبع: لا. يعرف كلّ صحفي: أنه من الصعب للغاية مقابلة ليو ميسي. ثم أودّ أن أُضيف أنني كنت أرغب في ذلك، ولكنّي لست على قناعةٍ تامّة برغبتي تلك. ميسي الذي أعرفه، والذي نعرفه كلّنا تقريباً، هو ميسي الحقيقي الذي حوّل نفسه عن غير قصد إلى نوع من الخيال شديد التأثير، إنه ميسي بكلّ ما لديه من المشاعر والعواطف، لقد عانينا معه عندما أُصيب وعانقناه في مخيّلتنا كلما سجّل هدفاً أو رفع كأساً. والمفارقة هي: كلّما زادت شهرته دولياً، أصبح هذا الإحساس أوسع انتشاراً، وكلّما شعرت بأنّك قريب منه، بدا لكَ إنساناً بصورةٍ أوضح. علاوة على ذلك، إذا كنت تعيش في برشلونة، فهناك دائماً احتمال أن تصطدم به في حفل موسيقي لاتينيّ ، أو في مطعم شواءٍ أرجنتينيّ ، أو في مسرحٍ يَعرِضُ مسرحيّةً لريكاردو دارين.

الحقيقة هي: أنّنا نعرف القليل جداً عن ميسي الواقعيّ. خلف الأبواب المغلقة في المنزل مع عائلته، ينشر أحياناً صوراً على وسائل التواصل الاجتماعي: حمام السباحة حيث يلعب مع أطفاله، أو الأرائك حيث يأخذ قيلولةً ومن حوله كلابه، أو العطل على متن يختٍ مع زوجته أنتونيلا وعدد قليل من الأصدقاء... يبدو أنه كما وصفه الكاتب سيرجي باميس: «ميسي هو لغزٌ كبير». وتلك المساحة الغامضة من شخصيته نملؤها نحن بتخيلاتنا. هذا هو السبب في أن الاحتمالات التي يطرحها الخيال كبيرةٌ وغير معروفة تماماً، ككلّ تلك السّاعات التي يقضيها خارج الملعب، في بعض الأحيان، عندما أنظر إلى مقاطع الفيديو غير الواضحة لميسي،

عندما كان في السابعة من عمره، وهو يتجوّل حول أطفالٍ آخرين على أرض مليئة بالغبار في روزاريو، أعتقد أنه يمكن أن يكون بطلاً في فيلم بيتر وير، ترومان شو، لقد صُوِّرت حياته حتى نتمكن من أن نحبّه، وأحياناً نحمل مشاعر من أجله، أو فقط لنكون معه، ثم أتذكّر اللّيلة التي حصل فيها على الكرة الذهبية الثانية، كانون ثان / يناير 2011 في زيورخ، عندما كان متأهلاً للنهائي مع إنييستا وتشافي الذي فاز بكأس العالم في العام السابق مع المنتخب الإسباني، ميسي لم يكن يتوقع الفوز، كان مقتنعاً أن دوره لم يحن بعد، وبدا مذهولاً عندما صعد إلى المسرح لتسلّم الجائزة من بيب غوارديولا، بكلّ المشاعر التي حملها في تلك اللحظة، قدّم شكراً خاصاً لزملائه في الفريق. لقد كان تغييراً غير متوقع في النص، على الرّغم من أن الجميع - بما فيهم إنييستا وتشافي - كانوا يعلمون أنه الأكثر منطقيّة.

أمّا على أرض الملعب، فيتحكّم ميسي دائماً فيما يحدث من حوله، ومجال التعبير عن الذات يكون مفتوحاً على مصراعيه، أحياناً يقوم باللّعب في مخيلته، ويخرج من القبعة حلولاً غير متوقّعة، كأنها خيالٌ علميّ. أحياناً أخرى، يتوجّه كلياً إلى ما بعد الحداثة، ويُملي عدداً من التغيّرات في موضوع معروف، مثلاً: عندما يأتي من منطقة الجناح، بالتوازي مع منطقة الجزاء، مراوغاً عدة لاعبين حتى يجد فجوة ينفُذ منها، ثم تفاجئنا تسديدته كما تفاجئ الخصم، فهي قد تتجه يميناً أو يساراً، أو تتحرّك كضربة قاضية أو حركة بلياردو غير واضحة النتيجة، باحثاً عن زاوية من جهة العارضة أو تمريرة فوق حارس المرمى، ولكن النتيجة دائماً هدف، في بعض الأحيان يتحكم بالاحتمالات، يبدأ الحركة، متّحداً مع زملائه في خط الوسط، وفجأة يتمّ مواءمة الحركة، ويتلاعب بالكرة وفق تناغمٍ حسيّ.

من المُقدّر لميسي أن يكون شخصيةً مؤقتة في لعبة المرايا، التي هي كرة القدم الحديثة، إنه شخصيّة حميمةٌ ومنزوية في نفس الوقت، مقيّداً بقمع التكتيكات الحاسمة وفي نفس الوقت مُظهراً حريّة روحه الفوضوية.

عالم بديل في خيالنا يقوم هو بتغذيته وإغنائه، من يدري ما إذا كان من الممكن يوماً ما، من خلال ألعاب الفيديو والواقع الافتراضي، إنشاء لعبة حول دوري كرة القدم يسافر فيها اللاعبون عبر الزمن ويتنقلون بين التكتيكات الرائجة، حيث سنتمكن حينئذٍ من رؤية تشكيلات مذهلة مع تكتيكات لم تكن لتخطر على بال أحد.

في الحياة الواقعية كما في فريق نيويورك من سبعينيات القرن الماضي، الذي وقَّع مع نجوم مثل بيليه، وبيكنباور، وكارلوس ألبرتو، ونيسكينز، جعلني ذلك أندهش لمجرد التفكير بتلك الفكرة، وأتخيّل كم كنت سأودّ رؤية فريقاً أرجنتينياً يُديره مارسيلو بيلسا، مُحيطاً ميسي باللاعبين المثاليين لبناء لعبة رائعة وعقلانية في آن واحد، أرديليس وكيمبس، ريدوندو وبوتشيني...! أو مثلاً فريقاً يلعبُ فيه ميسي بجانب فان باستن، أو يمكن أن يندمج في خط الوسط مع سقراط وكرويف، أو يفتح اللعبة على نطاق واسع مع غارينشيا وكوبالا، أتخيل عقلياً هذه الاحتمالات- اختلاط الماضي والحاضر بالمستقبل- وأتحرّق شوقاً لرؤيتهم... ولكن، بعد ذلك أصطدم بالواقع، وأرى الأمور بمنطقية، ماذا عن تشافي، وإنييستا، وبيكيه، وبوسكيتس، وألفيش، وماسكيرانو، وأبيدال، وفالديس، وبويول، ورونالدينيو، ووفيا، وديكو، وغيرهم الكثير؟ أتساءل فقط، ألم يُقدّم لنا ميسي وأصدقاؤه هذا، بل وأكثر منه بكثير؟ ليتمتع خيالنا بكلّ القوة.

الوشوم

من المعروف أن معظم لاعبي كرة القدم لا يفضّلون الثرثرة، لكنّ جلدهم بات يتحدّث ككتاب مفتوح، أما إذا كان لديهم أي شيء مثير للاهتمام ليقولوه فتلك مسألةٌ أخرى.

متى بدأنا نعتقد: أن الوشم مكمّل طبيعي لتصورنا عن لاعب كرة القدم؟ تشير جميع الدلائل إلى أن الموضة جاءت من المملكة المتحدة، ولكن على حد علمي، في أثناء اللعب، لم يكن لدى جورج بست ولا بول جاسكوين - على سبيل المثال لا الحصر- أي وشوم، أو على الأقل ليس في منطقة مرئية للجميع، ولا مارادونا كذلك، ولا كرويف، وبما أننا في خضمّ الحديث عن ذلك، لم يكن لدى جوناه لومو، نجم الرغبي النيوزيلندي الأسطوري أي وشمٍ من الماوري عندما لعب لفريق All Blacks، وكان ماورياً حقيقياً. حصل غالبية هؤلاء اللاعبين على وشومهم في وقت لاحق، في التسعينيات، في الوقت الذي جعل فيه لاعبون آخرون أصغر سناً ذلك من الإضافات التي منحتهم على ما يبدو مزيداً من التفرد، حدث ذلك تقريباً في نفس الوقت الذي بدأ فيه نجوم الأفلام الإباحية في تزيين أجسادهم، ولكن قد تكون هذه قصّة أخرى.

إذا كنا نتحدث عن لاعبين متمردين، مع الكثير من المواقف داخل وخارج الملعب؛ فيجب أن نتذكر إيريك كانتونا في أوائل التسعينيات، عندما لعب لمانشستر يونايتد (مع رفع ياقة قميصه)، كان لديه وشم في ذلك الوقت، لكنه لم يعرضه، كان على صدره، عند مستوى قلبه، رأس مواطن أمريكي أصلي يرتدي غطاء رأس من الريش، صورة قبلية تمثل القيادة والنضال والالتزام بشعبه، قد يكون ذلك كأن هذا الأمريكي الأصلي، الذي يبدو الآن محض رسم بسيط، قد ألهم ديفيد بيكهام، الذي تشارك كانتونا معه غرفة تبديل الملابس، كان بيكهام هو اللاعب الذي بدأ حقاً الوشم لأغراض الدعاية، ووسيلة تواصل مع المعجبين، كأنما يقول: أنا هنا، انظروا إلي.

هناك لاعبو كرة قدم يصنعون صيحات الموضة، وفجأة يرتدي جميع زملائهم المحترفين ملابس مماثلة، ويمشطون شعرهم بالطريقة نفسها، ويشاهدون المسلسل التلفزيوني نفسه. هذا ما حدث مع بيكهام، وبعدئذٍ فوراً، قرر مئات اللاعبين في جميع أنحاء العالم تحويل أجسادهم إلى لوحات: ملؤوا كل سنتيمتر من بشرتهم بالزينة والدروع والصلبان الدينية، ورسائل باللاتينية، والتواريخ بالأرقام الرومانية، والاقتباسات من الكتاب المقدس، والرسوم التوضيحية الصينية، ورسوم والت ديزني... ثم أي شيء شائع. وبالطبع، أولئك الذين انضموا إلى تلك الموجة بسرعة كبيرة، ارتكبوا أكثر من خطأ إملائي سخيف، ناهيك عن بعض اللاعبين المنساقين حماسة، الذين، من أجل إرضاء الجماهير، قاموا بوشم شارة فريقهم قناعةً منهم: أن هذا يعني أنهم لن يغادروا أبداً (ونعم، تم نقلهم في نهاية الموسم).

أما بالنسبة إلى ميسي، فقد ازداد اهتمامه بالوشم عبر السنين من حيث كمية الوشوم وتصميمها؛ فقد أصبحت صورته أكثر عالمية. الصحف الشعبية البريطانية هي أفضل مكان لمتابعة هذا التطور؛ إذ أنهم يُكرسّون العديد من الصفحات لتعريف قُرّاءهم بتلك الوشوم التي تزيّن نجومهم، ومع ذلك، عادةً ما يثق ميسي في رسّام الوشم الخاص به، روبرتو لوبيز، لتفسير الرمزية الكامنة وراء تلك الرسوم، لذلك، كان الوشم الأول مرتبطاً بالعائلة: صورة لأمه، سيليا، تراقبنا بتكتم من لوح كتفه الأيسر، لديها هيئةٌ مقدّسة لوجه أمّ تحمّلت المعاناة.

يغطي ميسي ذراعه اليمنى بتركيبة من الرموز، يمكن أن يُطلق عليها «عالم ميسي»: من ناحية تم تزيين الجانب الخارجي بزخارف مشتقّة من الساغرادا فاميليا لغاودي، مستوحاة بشكلٍ خاص من الزهريّة الرئيسية لبوابة الخلق، في إشارةٍ إلى تلك المدينة التي رحّبت به، يُرافق ذلك زهرة لوتس برتقالية - يمكن أن تنمو في أي مكان وفقاً للتقاليد اليابانية- وساعة كدلالةٍ على مرور الوقت، أما الخلفيّة، فتُوجد فيها خريطة تُوضّح أوروبا وأمريكا الجنوبية، للدلالة على سيرته الذاتية. وفي الجهة الداخليّة من ذراعه، توجد مسبحة تُذكّر بالمدينة التي ولِد فيها روزاريو دي سانتافي، وبرعم زهرة يُمثّل ابنه الأكبر، تياجو، وفي الاتجاه نحو الأعلى على عضلة الكتف، صورة ليسوع المسيح على الصليب تبحث عن ملجأ تحت كم قميصه، وهي تبدو واقعية للغاية مع تاج من الشوك، وقطرات من الدم تتدفق على صدغه، وعينين زرقاوين. في الواقع، وبصورةٍ واضحة، يبدو أن لاعب كرة القدم يتبنّى وجهةً فنيةً ليست له، هناك الآلاف من الوشوم التي يتم نسخها في جميع أنحاء العالم، وغالباً ما يتم استنساخها مجدداً - وبشكل غير

مُتقن- على جلد معجبيه، جيش من أتباع ميسي باللونين الأزرق والأحمر الخاص ببرشلونة، أو الأبيض والأزرق السماوي للأرجنتين، موشومون على ظهورهم وأذرعهم وسيقانهم، يحتفلون بالهدف، يرفعون الكأس، يتخابطون متعثرين بظلالهم.

بالنظر إلى الجانب الأيسر من جسده، يمكننا القول أنه بمرور الوقت، تحولت ساقه إلى لوحٍ من الرسومات، قبل سنوات كان قد رسم نسخةً بالحجم الطبيعي من يدي ابنه تياجو عندما كان حديث الولادة، وبعد ذلك قام بتطويق كل شيء بقلب مُجنّح على الساق، وإكتمل المشهد بعدها بسيف تحيط به كرة القدم مع الرقم 10.

في صيف 2016، بالتزامن مع الاضطرابات العاطفية، بعد خسارة كوبا أمريكا، صبغ ميسي شعره باللون الأشقر، ربما يكون ذلك لمنح هيئته بعض التوازن، ثم صبغ ساقه بالكامل باللون الأسود أسفل الركبة، مثل جورب مرفوع، ولم يتبق سوى كرة القدم ورقم القميص ظاهراً من الأمام، وفي المقابل جعل يدي ابنه تبرزان من الخلف؛ لقد أراد لهيئته مع كل هذا الفن المنقوش على جسده أن تبدو أكثر شراسة وتهديداً. وقد علّق رسام الوشم الخاص به على ذلك: «لقد أصبح محارباً ماورياً».

أحدث إضافة، هي وشم مضبوط بدقة أكبر: الشفاه الحمراء لزوجته، أنتونيلا روكوزو، التي تمثل قبلة منها مرمية عند مستوى الخصر. قام كلاهما بنشر صورة على وسائل التواصل الاجتماعي، وإذا أردت تفسيرها، فستقول: إنها تتماشى مع تطوّر ميسي بكونه شخصية عامة؛ إنها أكثر انفتاحاً وأكثر وضوحاً، ولكن مع تلميح إلى نوعٍ من القوة والجديّة، وهذا شيءٌ جديد.

بالطبع، ينبغي ألّا نستبعد احتمال وجود مستشارٍ وراء كل تلك الرسوم، هناك عدد أقلّ وأقلّ من اللّاعبين ممن لا يملكون وشوماً، أشخاص مثل: إنييستا، وسيرجي روبرتو، وتشافي، وتير شتيجن، وبشكل غير متوقّع كريستيانو رونالدو، على الرغم من أن القرار في حالته قد يكون مشروطاً بالطريقة التي يختارها لعرض نفسه، قد يعتقد: أن الوشم على عضلاتِ لشخص مهتم بكمال الأجسام، سيبدو - في كلّ مرةٍ يسجل فيها هدفاً- مثل الأوساخ أو الكتابة على الجدران على تمثال ديفيد لمايكل أنجلو.

أنا أتذكّر

أتذكّر: أن المدرسة التي بدأ فيها ميسي اللعب كانت - ولا تزال- تسمى مالفيناس أرجنتيناس. وأتذكر: أن زلاتان إبراهيموفيتش قال في مقابلة: «إذا أعطوني الكرة الذهبية يوماً ما، في صباح اليوم التالي سأرسلها إلى ليو ميسي».

أتذكّر: أنه عندما فاز برشلونة على أرسنال في نهائي دوري أبطال أوروبا في باريس عام 2006، لم يحصل ميسي على ميداليته ولا على الكأس مع بقية الفريق؛ لقد كان حزيناً حقاً؛ لأنه تعرّض للإصابة مدة شهرين، ولم يتعافَ في الوقت المناسب للعب.

أتذكّر: أنه عندما جاء ميسي ووالده إلى برشلونة عام 2000، مكثوا في الغرفة 546 في فندق كاتالونيا بلازا في بلاسا دي إسبانيا، ومن وقت إلى آخر يطلب أحد النزلاء النوم في غرفة النوم نفسها.

أتذكّر: بيرنيا، المُدافع الذي لعب لأتلتيكو مدريد، وهو أيضاً أرجنتيني، في مباراة واحدة دمّره ميسي بدفعة في وسط الملعب، واحدةٌ من حركاته التي يميل فيها بجسده، ولا يفعل شيئاً، والمدافع فاقدٌ توازنه إلى درجة أنه يُفسح له الطريق دون أي مقاومة، ثم بدأ ميسي بعدئذٍ بالركض مجتازاً

ثلاثة منافسين آخرين، وأنهى كل ذلك بتسديدة اصطدمت بالعارضة. بعد سنوات أوضح بيرنيا على شاشة التلفزيون: أنه عندما عاد إلى المنزل، سألته زوجته: «ماذا فعل ميسي بك؟» فأجاب: «لا أعرف، أخبريني، أنتِ قُمتِ بمشاهدة ذلك».

أتذكّر: أنه عندما فاز بالكرة الذهبية مرّة ثالثة، تقاسم ميسي الكأس مع صديقه تشافي، الذي وصل إلى النهائي، وقال له: «أنت تستحق هذا أيضاً، ويسعدني أن أكون بجانبك على أرض الملعب».

أتذكّر: أداء ميسي المذهل والبراعة التي أبداها على جيمس ميلنر، في مباراة دوري أبطال أوروبا ضد مانشستر سيتي، وأتذكّر بيب غوارديولا، في مُدرّجات الكامب نو، وهو يفرك وجهه كما لو كان يرى حلماً.

أتذكّر: أنني سمعت هذه القصة منذ فترة طويلة: عندما كان ميسي في السادسة من عمره ولعب في فريق الحي، اعتاد المدرّب أن يعطي لِلّاعبين قطعة واحدة من تلك الحلوى المحشوّة التي يُسمّونها الفاخور مقابل كل هدف يُسجّلونه، واثنتان إذا كانت رأسية. في كل مرّة تخطى ميسي فيها حارس المرمى ووصل إلى خط المرمى، إن كان لديه الوقت، يتوقّف، ويركل الكرة إلى أعلى ويضربها برأسيّة داخل الشِّباك حتى يحصل على اثنتين من الفاخور.

أتذكّر: أنه بعد شهرين من هدفه الرائع في شباك خيتافي، حين اقترب من إعادة هدف مارادونا ضدّ إنكلترا في كأس العالم عام 1986 في المكسيك، قام ميسي بمحاكاة محبوب الجماهير الأرجنتيني مرة أخرى، في هذه المناسبة، سجّل هدفاً بيده في شباك إسبانيول، فتذكّر الجميع «يد الله» الشهيرة.

أتذكّر: أنه عند التعليق على هدف ميسي الشهير ضدّ خيتافي، ضحك تشافي وقال: إنه يجب أن يحصل على شرف المساندة في التسديد، على الرغم من أنه كان على بعد خمسة وخمسين متراً من كرة المرمى.

أتذكّر: أنه بصرف النظر عن البطاقة الحمراء التي حصل عليها في أول ظهور له مع المنتخب الأرجنتيني، لم يُطرد ميسي طوال حياته المهنيّة. وأتذكّر أنّه عندما حُكم على ميسي بالسجن مدة واحد وعشرين شهراً بتهمة التهرُّب الضريبي، تنفسنا جميعاً براحة؛ عندما تم تخفيضها إلى غرامة كبيرة، مما يعني أنه سيتجنب الاضطرار إلى قضاء أي وقت داخل السجن.

أتذكّر: هدف إنييستا الخارق على ملعب ستامفورد بريدج في نصف نهائيّ دوري أبطال أوروبا موسم 2008-2009 ضدّ تشيلسي، وكيف تمّ بمساعدة ميسي، لقد تسلم الكرة في وقتٍ سابق، وكان يستعدّ للتسدّيد - بقدمه اليمنى- ولكن في مواجهة ثلاثة مدافعين، لم يستطع رؤية الطريق من خلالهم، لذلك كانت لديه فكرة مذهلة بالتمرير إلى إنييستا.

أتذكّر: أنه بعد ليلة رائعة لميسي، غيّرت اليومية الرياضية الأرجنتينية Olé تصميم شعارها الرئيسي، ويوماً واحداً كان الشعار ليو.

أتذكّر: ليونيل ميسي الآخر، الشاب الكاميروني الذي يلعب في مركز نصف الوسط لفريق بورتيه AS Portet، في أحد دوريات الدرجات الأدنى، عندما وقّع عقداً، لم تستطع الصحافة المحلية مقاومة العنوان الرئيسي: «ميسي يوقع لبورته!». (نيامسي اللاعب الكاميروني قال: إنه لم ينتحل اسم البرغوث بل سمي كذلك نسبةً إلى عائلة جده).

أتذكّر: ذلك الصّبي الأفغاني الذي صنع قميص المنتخب الأرجنتيني من كيس بلاستيكي، ورسم على ظهره رقم 10 واسم ميسي بقلم حبر جاف،

بعد وقت قصير تمّت دعوته إلى الكامب نو لمباراة ودّية ضدّ الأهلي، وقدّم له ميسي قميصاً حقيقياً.

أتذكّر لاعب كرة السلة الرّائع، ستيفن كاري، قبل منافسة مهمّة بين فريقه غولدن ستايت ووريورز، ومحاكاة ميسي عقلياً من أجل الفوز بالمباراة.

أتذكّر: أن ميسي يُحبُّ النوم جداً.

أتذكّر: أن ميسي لم يُسجّل ركلة ركنية مباشرة بعد، وهو ما يسمى بالهدف الأولمبي، لقد حاول عدّة مرّات، لكن عارضة المرمى أو الحارس كانا دائماً في طريقه، بينما في التدريبات، تمكّن من تسديدها أكثر من مرّة.

أتذكّر: إعلان نايكي الذي قام به مع لاعبين آخرين عندما كان في السابعة عشرة من عمره، وأنّه في النهاية سدّد ركلة حرّة، وقال: «تذكّروا اسمي، ليو ميسي». وأذكر أن جوناثان دوس سانتوس ظهر أيضاً في ذلك الإعلان.

أتذكّر: كيف، خلال الاحتفالات بالثلاثية في عام 2009، التي تضمّنت مسيرات في شوارع برشلونة، شرب اللاعبون الكثير من البيرة، في كامب نو، أمسك ميسي الثمل، الذي كان يرتدي قبعة، بالميكروفون ووعد بأنه سيفوز في العام المقبل بكل شيء، كل لقب، ووقتئذٍ خبّأ غوارديولا رأسه بين يديه.

أتذكّر: أنه عندما لم يجدّد ميسي عقده مع برشلونة، وكان كل شيء غير واضح، فكّرت في مانشستر سيتي مع بيب غوارديولا وتكسيكي بيجيريستين وفيران سوريانو، وكنت مقتنعاً أنه في يوم من الأيام سينضمّ إليهم.

أتذكّر: أنني قرأت أنه في بعض الأحيان، عندما يكونون في المنزل مع العائلة، يناديه ابنه تياغو «ميسي» وليس «أبي».

أتذكّر: الممثل الأرجنتيني ريكاردو دارين، وهو يروي كيف كان ميسي في يوم من الأيام سائق سيارة أجرة، كان يعبر شارع أراغو في برشلونة، وأطلقت سيارة زموراً عالياً، وذهب دارين ورأى أنه ميسي، عرض وقتئذٍ على لاعب كرة القدم نقله إلى الفندق الذي كان يقيم فيه.

أتذكّر: أنه عندما لعب كوبي براينت لفريق كرة السلة الأمريكي، ارتدى الرقم 10 «تكريماً لأكثر رياضي غير عادي رأيته في حياتي، ليو ميسي».

أتذكّر: وفاة تيتو فيلانوفا في نيسان / أبريل 2014، كم شعر اللاعبون بالحزن! وكيف بكوا في الجنازة، بعد أيام قليلة، اتّضح أن ميسي ذهب إلى زيارته قبل وفاته بقليل، وأقنعه تيتو بالبقاء في برشلونة بقية مسيرته.

كأس العالم 2018، أو ماذا بعد روسيا؟

على مدى السنوات الأربع الماضية، وبعد الخسارة في نهائي كأس العالم أمام ألمانيا في ملعب ماراكانا في صيف 2014، حاول الكثير منا نحن، أتباع ميسي، حاولنا أن نخدع أنفسنا بسؤال مليء بالتمنيات: هل ستكون روسيا هي المكان الذي يجد فيه النّجاح الكبير؟ في 15 تموز، يوليو 2018، هل سنرى الخرافة يلعب في نهائي كأس العالم؟ لقد جعلنا عشقنا وتبعيتنا لميسي غير قابلين للإصلاح، في أعماقنا كنا نعلم أن رحلة ميسي مع المنتخب الأرجنتيني كانت في كثير من الأحيان مصدر قلق وإحباط. لبعض الوقت الآن، وبفارقٍ كبير، كان أفضل هدّاف للفريق، ولكن مع ذلك، وبشكل عام، ذكريات جميع المباريات التي لُعبت مع الأبيض والأزرق قاسية على قدر جمالها.

منذ عام 1986، عندما فازت الأرجنتين بكأس العالم في المكسيك، أراد كلّ لاعب أرجنتيني أن يكون مارادونا، لكن ماذا يحدث عندما يعتقد الجميع بطريقة ما أنك فعلت ذلك في سن التاسعة عشرة؟

الحقيقة هي أنه بمرور الوقت، تحولت الآمال المفرطة التي وضعتها الأرجنتين في وعد برشلونة إلى المزيد من خيبات الأمل المفرطة، ومما

زاد الطين بلة، تعالي الأصوات التي تشكل الرأي الرياضي في البلاد - بدءاً من دييغو أرماندو مارادونا نفسه عندما كان معلّقاً تلفزيونياً. هنا، على سبيل المثال، مقتطف من مقال للكاتب مارتين كاباروس، نُشر في عام 2011 في المجلة الكولومبية «سوهو»، في خضمّ إحدى فترات خيبة الأمل المتكررة تلك، المقال الذي غالباً ما يُقرأ مثل تمرينٍ في التحليل النفسي الوطني، في هذا الخطاب، الخطاب ضد ميسي، وما بين السخرية وانتقاص الذات، يوبخ كاباروس ميسي لكونه لطيفاً للغاية، ويقول: إنه لكي يكون أرجنتينياً بحق، يجب أن يكون أكثر استبداداً وأكثر عدوانية. قبل بطولة كوبا أميركا مباشرةً نشرت الصحافة الصفراء بعض القصص عن ميسي في شقة فاخرة في بوينس آيرس، وهي لمسة جامحة تُضاف إلى صورته المنظمة والمقيّدة جداً، وأراد كاباروس أن يجد بصيصاً من التفاؤل في ذلك، لكنه كتب في نفس الوقت:

ميسي غادر الوطن الأم؛ ليتوقف عن كونه قزماً، والطريقة الوحيدة التي يمكن أن ينمو بها كانت عن طريق الهروب، ومع ذلك فإن قلبه كريمٌ جداً، ومملٌ جداً، لا يزال يحاول أن يكون أرجنتينياً.

إنه يحاول، ويقول إنه يحاول، وهناك ثلاثة مليارات يقولون ذات الشيء، فقط نحن، أبناء وطنه المحتملين، لدينا شكٌّ بذلك. إنه لم يُؤجج عاطفتنا ولا إحساسنا بالألفة، ميسي هو الرجل الذي يرقص بالكرة رقصاً مذهلاً ولكن بعيداً عن المنزل، وبعد ذلك، لحسن الحظ، في كأس العالم، يعود إلينا، ومن الواضح أن هذا يجعلنا فخورين - فنحن الأرجنتينيين نشعر بالفخر بسهولة، تقريباً بنفس السهولة التي نتذمر بها ونشتكي - لكن ذلك زائفٌ تماماً، كما لو كنا خائفين من أن يتمّ كشف أمرنا في أي لحظة.

يجب أن يكون من الصعب للغاية تجاهل كل ضغوط الإعلام هذه التي تحمل معها في أغلب الأحيان جرعةً جيدة من العاطفة؛ لا يكفي أن يحافظ ميسي على لكنة روزاريو خاصّته، ولا أن يعيش في برشلونة فيما يشبه فقاعة روزاريو، سيكون هناك دائماً من ينتقده لعدم غنائه النشيد الوطني قبل اللعب للمنتخب الوطني، أو لعدم شغفه بألوانه، أو عدم التزامه معه بالقدر الكافي.

في أوروبا، وخاصة في برشلونة، من الصعب فهم مثل هذا الموقف الحاد، وغالباً ما يبدو أنهم لا يعرفون حقاً ما هي حقيقته؛ فهم لم يشاهدوه بقدر ما شاهدناه، كما لو كان من المستحيل عليهم متابعة إنجازاته اليومية عن بعد والحكم على شخصيته غير العادية، وعلى تفوقه المستمر ووصوله إلى مستويات لم يصل إليها أي لاعب كرة قدم آخر. يبدو أن الأرجنتينيين لا يتمتعون بالثقة العمياء التي اكتسبها مشجعو برشلونة بعد سنوات عديدة من مشاهدته وهو يلعب، الجميع يثق بأن وجود ميسي في الملعب غالباً ما يعني الفوز، سامحوني على غطرستي، لكن من المحتمل جداً أنني رأيته في المزيد من المباريات - أفقد مباراة أو مباراتين في الموسم في أسوأ الأحوال- أكثر من معظم مشجعي كرة القدم الأرجنتينيين، على الرغم من أنه في عصر العولمة، لم تعد المسافات والمناطق الزمنية عائقاً.

هذا الافتقار إلى الثقة في كل الأدلة يحمل لمسة ازدراء للاعبين الذين يسافرون إلى الخارج، وغالباً ما كان مصحوباً بنقص في التخطيط من جانب اتحاد كرة القدم الأرجنتيني. لا توجد طريقة يمكن من خلالها الاستعانة بمدير لتحقيق أقصى استفادة من براعة ميسي: ماذا يجب أن يفعلوا؟ بناء فريق متمحور حوله؟ إعطاؤه كل القوة؟ معاملته مثل أيّ

لاعبٍ آخر؟ يحاول بعضهم وضعه جنباً إلى جنب مع تشافي أو إنييستا أو بوسكيتس، لكنهم لا يدركون أن الأمر كله يتعلق بفلسفة كرة القدم. لخص آخر مدرّب، خورخي سامباولي، الأمر على هذا النحو، في عبارة أثبتت صحّتها: «يجب أن نكون في مستوى ميسي». (وفي روسيا، لم يكونوا كذلك، لكننا سنصل إلى ذلك بعد قليل).

يحاول كل مدرب تهيئة الظروف المثاليّة، ولكن قد يجب أن تأتي هذه الظروف من الخارج، وأن تكون مرتبطة بسياق ما يحدث، وإلى لآن لا تزال هذه الظروف في طور الظّهور، وربما لن يحين الموعد أبداً. في صيف 2016، بعد خسارة نهائي كوبا أمريكا أمام تشيلي وتضييع ركلة ترجيح، قرر ميسي إضفاء تغيير على الصورة، في نفس ليلة المباراة النهائية، في خضمّ اللحظة، بينما كان يجيب على أسئلة صحفي تلفزيوني أعلن فجأةً، أنه سيعتزل اللعب الدولي: «يبدو أن هذا الأمر ليس لي، للأسف عملت من أجله، كان أكثر ما أردت، لكنه لم ينجح، وهذا كل شيء»، قال ذلك بحزن، وكان قد اتخذ قراره، ومع ذلك، بعد شهر ونصف أصدر بياناً صحفياً، قال فيه إنه يراجع أفكاره، وصرح قائلاً: «أحب بلدي وهذا القميص كثيراً»، وقتئذٍ تنفّست الأرجنتين باسترخاء، في الوقت نفسه، صبغ ميسي شعره باللون الأشقر البلاتيني، وبعد بضعة أسابيع حصل على وشم جديد على ساقه اليسرى، وهو الأكثر قوّةً بين الاثنين.

أما الذي حصل لاحقاً فإنه لم يرْقَ إلى مستوى تلك المشاعر الإيجابيّة، على الأقل في المباريات مع المنتخب الوطني، وحملت مرحلة التأهل لكأس العالم في روسيا معها بعض المشاكل- مع ثلاثة مدربين مختلفين- لم يتمّ حلها بشكل مُرضٍ حتى المباراة الأخيرة.

في الواقع، نتيجة تلك المباريات الأخيرة هي مثال جيد على ما يمكن أن يثيره انفصام شخصية ميسي لدى صحفيي ووسائل إعلام بلاده، في أيلول / سبتمبر، بعد التعادل في اللحظة الأخيرة الذي أبقى آمالهم على قيد الحياة، أعلنت أُوليه: «ميسي يعاني وكذلك نحن»، ثم تابع: «لا توجد طريقة للنظر إلى الأمر بإيجابية». كافحت الأرجنتين للتعادل مع فنزويلا، لم تكن الحركة سلسة، ولم يكن هناك أي رد فعل، «ميسي لم يكن ميسي»، كان الفريق على حافة الهاوية، وكان لديه كل شيء ليلعب من أجله ضمن مباراة في العاصمة الإكوادورية كيتو، على ارتفاع ثلاثة آلاف متر تقريباً فوق مستوى سطح البحر، ضد الإكوادور. جاء ذلك اليوم وانتصروا 1-3، سجّل ميسي ثلاثية رائعة، وفي اليوم التالي غطّت Olé صفحتها الأولى بالكامل بهذا العنوان: «ميسي أرجنتيني». وعلى الصفحة الداخلية عنوَنت: «على مكانةٍ موازيةٍ للآلهة».

في تلك الليلة، عندما عرفوا أنهم قد تأهلوا، قال خورخي سامباولي: «كرة القدم مدينة لميسي بكأس العالم». بعد بضعة أسابيع، أعاد اللاعب نفسه تأكيد ذلك في مقابلة في صحيفة كلارين اليومية: «آمل أن تدفع كرة القدم لي ما تدين لي به».

الحقيقة هي أن كلماته بدت كأنها إنذار. أو ربما كانت صرخة شخصٍ يعرف أنه ربما لن يحظى بفرصةٍ أخرى. عادةً ما تمنح الحياة المهنيّة للاعب كرة القدم أربع فرصٍ للّعب في كأس العالم، تمتد ستة عشر عاماً، تَمكّن أربعة لاعبين فقط من اللعب في خمسة: الألماني لوثار ماتيوس، والمكسيكي أنطونيو كارباخال، والإيطالي جانلويجي بوفون (رغم أنه لم يلعب أي مباراة خلال مشاركته الأولى في كأس العالم).

أما بالنسبة إلى الأرجنتين، فإن لاعب كرة القدم الوحيد الذي لعب في أربع نهائيات لكأس العالم في تلك المرحلة كان دييجو أرماندو مارادونا، وكان آخرها 1994 -في الولايات المتحدة- كان قصيراً وحاداً، مع اختبارٍ ثانٍ إيجابي للمخدرات، يشير عملياً إلى وداعه كرة القدم. مجموعة اللاعبين الأرجنتينيين واسعة للغاية، ويبدو أنه يتعين إعادة بناء الفريق من كل جوانبه كل أربع سنوات، وعددٌ قليلٌ جداً منهم ينجح بالوصول من كأس عالم إلى أخرى، قد يرجع هذا الافتقار في الاستمرارية أيضاً إلى ضغوط الصحافة ووسائل التواصل الاجتماعي، ولهذا السبب هناك احتمالية أكبر بأن يقوم لاعبان أرجنتينيان بجعل نهائيات كأس العالم في روسيا رابع كأس عالم لهم: خافيير ماسكيرانو، وليو ميسي.

إذا نظرنا عن كثب، قبل نهائيات كأس العالم الأخيرة، كان ميسي قد تابع تطوراً تصاعدياً جعل منه مفضّلاً(أكثر من فريقه)، في عام 2006، كان أول مونديال له، حاملاً الرقم 10 الذي ارتداه ريكيلمي. ميسي لعب فقط فترات قصيرة وسجل هدفاً، أطاحت ألمانيا بهم في ربع النهائي، في عام 2010، في جنوب إفريقيا، عندما كان مارادونا مدرباً للمنتخب الأرجنتيني، ارتدى ميسي الرقم 10، ولعب مباراة كاملة، لكنه لم يشعر أبداً بالراحة، ولم يكن له أي تأثير، بشكل لا يصدق لم يُسجل أي هدف، مرة أخرى، أطاح بهم منتخب ألمانيا في ربع النهائي.

في البرازيل، في 2014، كان ميسي و منتخب بلاده من بين أكثر المرشحين، واقتربوا أكثر من أي وقت مضى من الفوز: لقد تقدموا بثقة، وسجل ميسي أربعة أهداف، لكنهم خسروا المباراة النهائية، ضد من؟ نعم، ضد ألمانيا. من الواضح أن الوحش الأسود للأرجنتينيين في روسيا

سيكون «الماكينات» الألماني، وإذا كان ذلك ممكناً، كان من الأفضل تفاديهم في ربع النهائي، لهذا السبب تنفّس الأرجنتينيون براحة؛ عندما تمّ القضاء على ألمانيا، بدا المسار أكثر سلاسة، لكن، تكمن المشكلة في أن مباراتهم لم تكن متمحورةً حول ميسي، تعادلٌ ضد أيسلندا، وهزيمة مؤلمة على يد كرواتيا، ثم انتصار في الدقيقة الأخيرة على نيجيريا، جعلهم يتأهلون إلى الأدوار الإقصائية - والأكثر من ذلك، هدف ميسي المذهل الذي جمع كل صفاته بالسيطرة والتوجيه والسرعة، هذا، بمفرده، أعادهم إلى كونهم مركز الانتباه. لأشخاص كثُر مثلي، اعتقدوا أن الأرجنتين يمكن أن تفوز بكأس العالم؛ لأمر بسيط وهو «أن ميسي يستحقها».

قبل أيام قليلة، في مقال على موقع «استعراض نيويورك للكتب New York Review of Books»، وصف الكاتب الأرجنتيني غابرييل باسكيني حالة الإثارة القصوى التي عاشها مواطنوه في فترة كأس العالم، ووجد تفسيراً لها في كتب التاريخ، باختصار: في العصر الذهبي بين 1880 و1930، كانت بوينس آيرس هي باريس الجنوب والأرجنتين عاشر أقوى اقتصاد في العالم، ثم في ثلاثينيات القرن الماضي، عانت البلاد من أزمة مدمِّرة لم تتعاف منها أبداً، إلى درجة أن الأرجنتين لا تزال تنتظر شخصاً، بطلاً، لإعادتها إلى تلك الحقبة اللّامعة.

ومن ثَم، وفقاً لباسكيني، عندما يتعلق الأمر بوضع الأمة العام، فهم دائماً ما يتأرجحون «بين القَدَر وتفكيرهم السحري»، لعب مارادونا هذا الدّور البطوليّ فترة من الزمن، والآن، كان لابد لهذا الشخص أن يكون ليو ميسي.

في الواقع، يمكننا القول: أنه بسبب أسلوب لعبه، غالباً ما يكون ميسي

متجسداً في التفكير السحري، وهو توقّعٌ مبنيٌّ على العاطفة والشغف غير العقلانيّ، ولكن للسبب نفسه، يمكنه أيضاً أن يُمثّل قدر بلدٍ بأكمله أفضل من أي شخص آخر، القدر في إضاعة ركلة جزاء في المباراة الأولى ضد أيسلندا، على سبيل المثال، كان معناه: أنهم لم يفوزوا وحوصروا في إطارٍ ذهني أقل إيجابية.

ولا أعتقد كذلك: أنّ وجود دييغو مارادونا في الملعب يساعد ولو قليلاً، ها هو مجدداً ثمل وصاخب بنبرةٍ حادّة ومنفصل عن العالم مثل إلفيس في خسوفٍ كامل، عندما كانت ألمانيا تخسر أمام المكسيك، لم تركز كاميرات التلفاز على ماتيوس المبتهج وهو يدخن سيجار هافانا، وعندما خرجت البرازيل من بلجيكا، لم نرَ بيليه في الحجرة الفاخرة، وهو يلوح بيديه ويصرخ: «يا لها من سلسلة من الضربات!» ومع ذلك، عاد دييغو العجوز إلى شاشاتنا مذكّراً الأرجنتينيين بأنه في وقتٍ ما قد منحهم المجد، وأن ذلك المجد يتمّ تحصيله بثمن.

يحصل ذلك دون تفكير، كيف أنّ قطاعاً كبيراً من الصّحافة عاد إلى الوضع السيكلوماتيكي، حيث قام بتحليل وتشريح الأخطاء التي ارتكبها سامباولي ولاعبوه، تلك الأخطاء التي تتضمّن أحياناً تهديدات بالعنف الجسدي، بعيداً عن تقلّبات ميسي الشّخصية، يمكن للأرجنتين دائماً أن تقول: إنها خرجت من دور الستة عشر على يد فرنسا التي توجت لاحقاً بكأس العالم، وإن هزيمتها الأخرى جاءت على يد كرواتيا، خصم فرنسا في نهائي موسكو، كما لو أن اللعب ضدّ ميسي ورجاله قد حقن تلك الفِرق بنوع من القوة الفائقة التي ساعدتهم على التقدم في كأس العالم، مع أنهم بالكاد تألقوا!

في هذه المرحلة، يجب أن نعود إلى سؤالنا الرئيسي: ماذا بعد روسيا؟ حسناً، بعد أن تمّ إقصاؤهم من قبل فرنسا، أعلن ماسكيرانو اعتزاله اللعب الدولي، لكنّ ميسي على العكس من ذلك، لم يُصرّح بالكثير حول مستقبله وذهب في إجازة، كما لو كان يخبّئ سرّاً في جعبته. في الوقت الحالي، من غير المحتمل أنه يفكر ملياً بمونديال قطرعام 2022، كأس عالم بعيد في الصحراء، ولكن قد يغيّر رأيه بعد كوبا أمريكا التي ستقام في البرازيل في عام 2019، بعد كل شيء، تلك أيضاً أحد الألقاب القليلة التي لم يفز بها ميسي بعد.

لقد تأكد هذا الزخم الجديد في غرابة صيف 2021؛ حين فازت الأرجنتين أخيراً في كوبا أميركا. ليونيل آخر - سكالوني - المدرب الأخير الجديد الذي جرب حظه عند اختبار المنتخب الوطني، عرف كيف يستفيد من هذا الجيل الجديد من اللاعبين، بدمجهم مع قدامى المحاربين، مثل: أوتاميندي، ودي ماريا، أو ميسي نفسه. أظهر لاعبون جدد، مثل: لوتارو، ودي بول، وتاجليافيكو، وفويث، نضجاً رائعاً في كرة القدم، وفي الوقت نفسه لعب ميسي بعيداً عن دور المنقذ الذي يُطالب به دائماً. على أي حال، لقد تأكدت قيادته خارج الملعب بسلسلة من التصريحات المثيرة للجدل، التي أشارت إلى تحيز الحكام ضد الأرجنتين طوال البطولة. وأول مرة رأينا ميسي غاضباً أكثر منه آسفاً.. لا يمكن القول أن الأرجنتين قدمت مباراة رائعة للغاية، لكن الفريق عرف كيف يكون عملياً، وكان الفوز 1-0 كافياً لخوض المباراة النهائية ضد البرازيل. على الصفحات الأولى لتلك الأيام، نقلت الحدث-الفرح صحيفة Olé، بعناوين مثل «Maracanazo»، أو «كلنا ميسي»، أو «For the Rest of Our Lives Forever». انعكست

فورة الفرح أيضاً في الارتياح، بعد سنوات عديدة من التوتر وخيبة الأمل والانتقادات. يبقى أن نرى: ما إذا كان كل هذا أيضاً، ليس إلا طرداً للأرواح الشريرة؛ لاكتساب الإيمان والقناعة قبل الحدث الهائل في عام 2022 الذي سيقام في قطر.

الأبديّ

عند الحديث عن انحدار نابوكوف الأدبي، قال مارتن أميس: إن «الكتّاب يموتون مرتين: مرة عندما يموت الجسد، ومرة عندما تموت اللغة»، يمكن تكييف التشبيه حرفياً مع لاعبي كرة القدم، «يموت لاعبو كرة القدم مرتين: مرة عندما تموت أجسادهم، ومرة عندما تموت قدرة أجسادهم على اللعب». يأتي اليوم الذي يظل فيه الرأس قادراً على اللعب، لكن الأرجل والجسد لا يستجيبان بشكل فعال، بعد ذلك، فإن لعبتهم -لغتهم- تموت. لاعبو كرة القدم الجيدون هم الذين يتأقلمون مع نمط حياتهم الجديد، يشكلون مما تبقى أسلوباً آخر، ويستفيدون إلى أقصى حد من المواهب التي لا تتلاشى، وقد يبحثون عن دوري يمكنهم من خلاله عدم اللعب بسرعة (لكن يتلقون أجراً جيداً) أو، إذا لم يفعلوا، يفضّلون الانسحاب قبل أن يصبحوا صورة كاريكاتورية عن أنفسهم؛ لا يوجد شيء أكثر حزناً من وداع طويل يجبرك على أن تقول: «الجسد حزين، للأسف، لقد سجّلت جميع الأهداف التي يمكن تسجيلها».

تقاعد إيريك كانتونا في سن الثلاثين، مبكراً جداً، ثم ذهب إلى مجال السينما، في تصريحاته لـL'Équipe، أوضح: «أنا شخصٌ فضوليّ بطبيعتي،

كل يوم أحتاج إلى العثور على شيء جديد، حتى في أبسط الأشياء، إنها حالة فضول دائمة تسمح لي بالتقدّم في الحياة». يمكن للعديد من لاعبي كرة القدم فقط توجيه هذا الفضول نحو كرة القدم، نظراً لأنهم أمضوا حياتهم بأكملها في نفس الحيّز، وعند تقاعدهم يبحثون عن طُرق عديدة لعدم التّخلي عنهم في تلك المحميّة تماماً. بالطبع، الخطوة الأكثر وضوحاً هي الحصول على شهادة تدريب والاستمرار في السير في الملاعب وغرف تبديل الملابس، والأكثر سهولةً هو أن تصبح خبيراً في التلفزيون (على الرغم من عدم وجود الكثيرين ممن يتحدثون بشكل كافٍ). هناك دائماً بدائل أخرى. حصل روبرتو باجيو على شهادة التدريب، وتحول إلى البوذية، ويكرس الآن جزءاً من وقته للأنشطة الإنسانية. منذ وقت ليس ببعيد، ظهر لاعب احتياطي في مانشستر يونايتد، فيليب مولرين، في الصحافة؛ لأنه عُيّن كاهناً. روماريو هو عضو في مجلس الشيوخ الفيدرالي عن ولاية ريو دي جانيرو، وتم اختيار جورج وياه كأفضل لاعب أفريقي للعام في ثلاث مناسبات، وفاز بالانتخابات ليصبح رئيساً لبلاده ليبيريا، في كانون ثان، يناير 2018.

ماذا سيفعل ميسي عندما يتوقف عن لعب كرة القدم؟ قد أستبق التفكير، وعلينا أولاً أن نُفكر في المكان الذي سينهي فيه مسيرته. في الوقت الحالي، وفقاً لتجديد العقد الأخير الذي وقع عليه - بعد شهور من الانتظار المؤلم الذي بدا كأنه سنوات- سيلعب مع برشلونة حتى 30 تموز، يونيو 2021، عندما يكون قد احتفل تواً بعيد ميلاده الرابع والثلاثين، وسيكسب تسعة وثلاثين مليون يورو وأربعمئة ألف يورو لكل موسم.

أحسب حساباً سريعاً باستخدام التقويم الخاص بي، فينتابني القلق

بشأن المستقبل...! هل لدينا حقاً ثلاث سنوات فقط للاستمتاع بمشاهدته وهو يلعب؟ لكنني أدرك بعد ذلك أن الوقت مبكرٌ جداً، ومن السابق لأوانه الشعور بمثل هذه المعاناة؛ في الواقع ما يبدو منطقياً أكثر هو تخيّل ما يمكن توقعه في هذه الفترة، ما هي القدرات المتبقية من ميسي، وكيف سيتغيّر أسلوب لعبه - ولعب برشلونة- مع تغير حالته البدنية. صديق لي، على سبيل المثال، مقتنع بأنه في يوم من الأيام سينتهي به الأمر إلى اللعب مثل تشافي، يتّخذ مكاناً في خط الوسط، لن يحتاج فيه إلى الركض كثيراً، ومع ذلك يمكنه الجمع بين رؤيته الفريدة للمحيط من حوله ودقة تمريراته.

على العكس من ذلك، عندما أركز على ذلك التاريخ، 30 تموز / يوليو 2021، لا يسعني إلا التفكير في أن ميسي سيكون على بعد عام واحد فقط من القدرة على اللعب مرّةً أخرى في نهائيات كأس العالم في قطر 2022، وقد تُؤجل حاجته لتوديع كرة القدم إلى ما بعد ذلك، مع الكأس، أو بدونها، وأنه سيحتاج إلى نادٍ آخر حتى يكون في مكانٍ يلائمه.

هناك علامة استفهام أخرى تحوم حول مستقبله: هل سيعود إلى الأرجنتين ويلعب مع نيويلز، نادي طفولته؟ ستكون هذه بلا شك عودةً عاطفية، وقد أعرب قبل سنواتٍ عن رغبته في ذلك، لكن في الوقت الحالي لا يبدو ذلك مرجحاً للغاية.

من المحتمل أن ما يحمله ميسي من مشاعر تجاه الأرجنتين، وخاصة بعد نتيجة كأس العالم في روسيا، سيكون في أدنى مستوياته على الإطلاق، غالباً ما كان ميسي هو قربان التكفير عن خطايا الفريق، كما قال آنخيل كابا (لاعب ومدرب أرجنتيني سابق)، وهذا يحمل أثراً خاصاً، وإلى جانب

ذلك، هناك عدد أقل وأقل من اللاعبين الذين يبدؤون حياتهم المهنية وينهونها في الفريق نفسه، وهذا من شأنه أن يجعل ميسي مميزاً أيضاً.

لذا سأعود إلى سؤالي الأصلي: ماذا سيفعل ميسي عندما يتوقّف عن لعب كرة القدم؟ جزء كبير من موهبته لا يمكن تعليمه ولا نقله. ولكي أكون صادقاً: لا أتخيّل أنه سيصبح مدرّباً. بعد أن أصبح إلهاً، كما يحب الأرجنتينيون أن يصفوه، سيخسر أكثر مما سيكسبه، كما أنني لا أرى أنه يريد أن يصبح مثل كرويف: أحد هؤلاء الأشخاص الذين تُطرَحُ عليهم الأسئلة، ويخبروننا بمن هو الأفضل، وما هو الأفضل.

نجم كرة السلة الفريد من نوعه مايكل جوردان، الذي اعتزل مرتين، قال: إن الرّغبة في اللعب لا تختفي أبداً. ربما لهذا السبب توجد الآن مباريات للمعتزلين القدامى، التي أصبحت نوعاً فرعياً من المباريات، إضافةً لكونها تسويقية. أصدقائي ضدّ أصدقائك، طريقةٌ للعودة إلى أيام طفولتك الكروية - من سيحمل الكرة، ومن سيختار أولاً- تلتقي بالزملاء والخصوم القدامى وتتذكّر المناوشات السابقة. رونالدينيو، على سبيل المثال، لعب السّنوات الأخيرة من حياته المهنية - مع كويريتارو ثم مع فلومينينسي- كما لو كان يلعب دائماً مباريات مع المدربين القدامى، مستعرضاً حركات الصغر، ممرّراً الكرة دائماً بينما ينظر في الاتجاه المعاكس.

نقطةٌ مهمّة، هي: أن العقد الوحيد الذي وقعه ميسي مدى الحياة هو مع شركة أديداس، التي تدفع له مبلغاً لم يسبق الإعلان عنه أبداً مقابل ارتدائه علامتها التجارية. لذلك نتخيل أنه عندما يتقاعد سيظل وجوده حاضراً، فالفكرة التي صغناها جميعاً عن ميسي خلال سنوات المجد هذه - وربما

سنراه في حملات إعلانية من وقت لآخر، وفي أنشطة خيرية تُنظّمها مؤسسته- تُقدّم صورته كما لو أنه الشخص الذي سيبقى شاباً إلى النهاية.

أما غيابه عن ملاعب كرة القدم، وخاصةً الكامب نو، فقد يمكننا فهم ذلك من خلال الاستعانة بقصيدة كتبها بويستان هيو أودن بعد وفاة وليام بتلر ييتس: «نسيانه لا يكفي». ليس لديّ أدنى شك في أنه عندما يتوقف عن اللعب، في الأيام شديدة الأهميّة، سيتذكره ملعب كامب نو بصيحات «ميسي، ميسي، ميسي!»، تقريباً كطريقة للإشادة بمواهب اللاعبين الآخرين، أو احتفال بالنجاحات الماضية، علاوةً على ذلك، إذا كان موجوداً في المدرجات، فسيكون لدينا المزيد من الأسباب للاحتفال به.

يمكننا أيضاً التأكّد من أن ميسي سيستمر في اللعب غيابيّاً، من خلال ذاكرتنا التي تستحضره، فإلى متى سنستمر في رؤيته حاضراً عندما لا يكون في الملعب؟

من خلال كل تلك السنوات والألقاب، حقّق عصر برشلونة الذهبي مستوى جديداً من الثبات على الأسلوب، وهو ما جعلنا قادرين على رؤية تلك التحركات في أذهاننا. إذا كنت أستمع إلى مباراة على الراديو، ويقول المعلق يواكيم إم. بويال إن ميسي يرسل تمريرةً طويلة فوق المدافعين نحو جوردي ألبا، لديّ الكثير من الصور لتمريرات مماثلة في رأسي تساعدني على تخيل ذلك، وكذلك الحال مع التمريرات الأخرى، يُخرج بيكيه الكرة من وسط الدفاع ويمضي في الهجوم، إنييستا يتّحد مع ميسي على حافة منطقة الجزاء، يتوقف تير شتيجن في نوعٍ من الحظّ والرعاية الإلهيّة، عندما يقوم الخصم بضرب الكرة من مسافةٍ قريبة، بوسكيتس يحظى بالكرة ويدفعها إلى لأمام ويقدمها إلى راكيتيتش... بإمكاننا رؤية

هذا كله؛ إذ نملك جيلاً من اللاعبين الفريدين، بنوا مخيلتنا في كرة القدم، لقد علّمونا أن نتخيل تحركاتهم ببراعة، هذا ما يمكننا قوله، لكن لحسن الحظ لم يضعوا أي حدودٍ لمخيلتنا أبداً؛ إذ أن هناك دائماً مكانٌ لجولات ميسي الخيالية المتجددة وتسديدات سواريز المستحيلة على المرمى، وفي كل الأحوال فإن هذا الأمر يسير في طريقين، إيجابي وسلبي؛ إذ أنه عندما يغادر اللاعب أو يتقاعد، فإن وجوده يظلّ مسيطراً. أنا حتى الآن ما زلت أبحث عن تشافي في خط الوسط، يلتف على نفسه حتى يتخلص من مراقبه، أو أتخيل إنييستا وهو يتسلم الكرة قبل أن يقوم بتمريرة خلفية أفضل، أو أتوقع أن يظهر داني ألفيش في الجهة اليمنى للمشاركة مع ميسي. وقد استغرق الأمر وقتاً طويلاً لماسكيرانو وبيكيه، وأيضاً أومتيتي و لونغليه، حتى يتمكنوا من إبقاء ذكرى وجود بويول المخيفة بعيدةً عن أذهانهم. لذا والحال هذه، يمكنكم أن تروا، أنه يمكننا استخدام الحيل والتبريرات لإلهاء أنفسنا والبحث عن أعذار لكل اللاعبين الجدد، لكن يوماً ما سنبدأ في التساؤل عما ستكون عليه الحياة بدون تلك الحركات التي اعتدناها على أرض الملعب، قبل أن نبدأ في الشعور بالأسف على أنفسنا لما خسرناه. يجب أن نأخذ في الحسبان كلمات الصّحفي سيمون كوبر: «نحن نعيش في عصر ميسي، وقد تكون أفضل طريقة لاستغلال ذلك، هي مشاهدة كل المباريات». في الوقت الحالي، لا يسعني التفكير في أي طريقة أفضل؛ لأجعل هذا النّعيم ممتداً، ولأنسى اليوم الذي يخرج فيه ميسي مغادراً خشبة المسرح؛ ليصبح خالداً إلى الأبد.

جوردي بونتي Jordi Punti:

ولد جوردي بونتي في مانليو بالقرب من برشلونة، وهو كاتب روائي ومشارك منتظم في الصحافة الإسبانية والكتالونية، كان أيضاً مشاركاً في فيفا ويكلي، حصل على العديد من الجوائز الأدبية، وتُرجمت أعماله إلى أكثر من خمس عشرة لغة. أولى رواياته التي تُرجمت إلى الإنكليزية، Lost Luggage (أمتعة ضائعة) 2013، ونُشرت مجموعته الجديدة من القصص القصيرة، This is Not America (هذه ليست أميركا) في الولايات المتحدة في عام 2019.

المترجم محمد بيطاري:

شاعر ومترجم وكاتب ومخرج مسرحي فلسطيني سوري، من مواليد مخيم اليرموك - سورية عام 1990. درسَ الأدب الإسباني في جامعة دمشق، واختصّ في اللغات الساميّة في جامعة برشلونة المركزية. حاز على درجة الماجستير في الدراسات المسرحية واختصّ بالكتابة المسرحية والإخراج. يُدَرّس اللغة العربية ونظرية نشوء اللهجات في ماجستير الدراسات العربية المعاصرة في جامعة برشلونة المستقلة. حاضر في عدة جامعات إسبانية وكاتالانية حول الشعر العربي. كتبَ في صحف ومواقع عربية مختلفة. صدرت له ترجمة ثلاث قصائد طويلة للشاعر التشيلي توماس كوهين في أنطولوجيا «حجرٌ لم يُقلب». كتبَ وأخرج النصّ المسرحي «تحت رمال الشاطئ» باللغة الإسبانية مع المخرج والمسرحي الكاتالاني مارك بيلانوفا. أصدر كتاب «أنا الذي أنتم» نسخة ثنائية اللغة كاتالاني - عربي، ترجمة مارغاريدا كاستيلس كريبالس (مُختارات شعريّة لستّة شعراء من سوريا).

آخر عمل مسرحي كتبه باللغة الكاتالانية هو: «مُتلازمة الرحيل» وتمّ عرضه طيلة شهر أبريل من العام 2022، إخراج: تشيكو ماسو، إنتاج: المسرح الحر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ميسّي

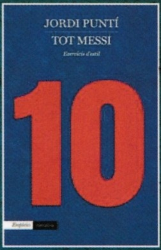

تغلبُ على هذه الصفحات حالةٌ من السعادة: هي غير مكتملة؛ إنّها عملٌ مستمر، لعبةٌ لا تزال تُلعب. طالما بقي ميسي لاعب كرة قدم محترف؛ فقد تتغير بعض العبارات، بل سيتعيّن علينا تغييرها. أنا لا أشير فقط إلى الإحصائيات التي تلخص ببرود مسارهُ الفريد، ولكني أشير أيضاً إلى العاطفة والحماس والقدرة على الابتكار في كلِّ مباراةٍ، وإيجاد سُبلٍ جديدة للتعامل مع ممكنات الكرة التي لم يسبق حصولها من قبل في عالم كُرة القدم، كرسام قادر على ابتكار لونٍ جديد؛ لأن ما لديه لا يكفي مُخيّلته وقدراته.

Jordi Puntí

أفضل لاعب في العالم هو ميسّي، ثاني أفضل لاعب في العالم ميسّي مُصابا.

Jorge Valdano

السّيد إسحاق نيوتن ينظرُ إلينا من هناك، من الأعلى ويقول: أنا كنتُ مخطئاً، وميسّي كان مُحقّاً. ميسّي تحدّى الجاذبيّة!

Ray Hudson

كتاب بونتي هو رد شاعري على تألق ميسي الصريح المبهر، عبر تقديم حقائق ملموسة وثابتة وموجزة!

David Horspool, The TLS

ميسي هو الأساس، حتى إن كان في المنزل يتناول العشاء.

Luis Enrique

مكتبة
t.me/soramnqraa

اتجاهات ثقافة مستقلة Independent Culture Ettijahat
Éter
ISBN 9789933935825
9 789933 935825